٤ ـ الحياة الاقتصادية

١ — الزراعة

اذا أخذنا بتقسيم العلامة « إنجلر » من حيث التوزيع الجغرافي للنباتات فان الصحراء الغربية تنتمي لمنطقة الصحراء الكبرى التي تُعد من أفقر صحاري العالم . ومع ذلك فيمكن تقسيمها من الوجهة النباتية قسمين . قسم جدب . . وقسم نباتي :

١ — ﴿المناطق الجدباء﴾ : توجد في الصحراء مناطق تمتد عشرات بل مئات الأميال ، وليس فيها أي أثر للحياة النباتية ، ولعل أول شيء يتبادر الى الذهن ، بمجرد ذكر الجدب في مكان ما ، أن عدم وجود الماء فيه هو السبب المباشر في جدبه وإمحاله ، ولكن الحقيقة غير ذلك ، فإن الجدب لا يُنسب للجفاف الشديد ، اذ توجد أنواع خاصّة من النباتات تحيا فيها تماماً مثل هذه الظروف ، ويمكنها أن تعيش وتنمو ، بل وتعطي بزوراً تتكاثر بها تحت ظروف الجفاف لمدد طويلة ، ولا تحتاج إلاّ لرطوبة فصل الشتاء ، وما تجود به السماء من قطرات الندى في آخر الليل كبعض أنواع الحريشة . والطرطير . والخامول . حتى وإن تأخر الغيث أربعة أعوام لا يبطل فإن هياكلها الباهتة تظل قائمة في الصحراء ، وليس عليها من آثار ما تعانيه من جفاف غير بعض الذبول الذي يرين عليها في أوقات القيظ الشديد .

ولكي تستطيع هذه النباتات أن تقاوم العوامل المهلكة للحياة ، كالحرارة والجفاف وتحتفظ بوجودها ، عليها أن تتحصن ضد هذه العوامل ، لتضمن لنفسها المناعة من عبثها حتى تغالبها وتبقى تنعم بالحياة ، وتسمى هذه النباتات « بالنباتات الجافة »

وتحتال النباتات الجافة في ذلك بوسائل عدة ، فإما أن تكون وسائل هذا التحصن مخفية على أعماق بعيدة تحت سطح الأرض كأن تجعل النباتات لنفسها خزانات تكتنز فيها مدخراً من الماء والغذاء ، على هيئة درنات كالشُّمَّير Erodium .. وهذا نادر .. !

وإما أن تكون ظاهرة في أجزاء النبات العليا ، كتصغير المساحة الظاهرية المعرضة لتلك العوامل ومظهرها الفقر في الأوراق كالرتة Lavandula Coronapifolia أو الكثرة

العظيمة في الأشواك كالكداد Astragalus Farskelei أو التفاف حواني الأوراق لتظل نفسها من الشمس ، ولتمنع الريح الجافة من أن تلامس سطحها عند هبوبها كما في الديبيسان Raynaea أو انطباقها على بعضها البعض كما في السنامكي Cassia acutifolia

وتقع تحورات أخرى في الأوراق التي كثيراً ما تختلف في الشكل والحجم والأنسجة والتركيب وكذلك الأمر في الساق .

وفضلاً عن ذلك فإن لنباتات الصحاري تحورات أخرى تتمكن بها من تحمل محنة الجفاف الكبرى .. وعدم ملاءمة الجو الصحراوي أثناء موسم الجفاف الطويل ، فالنباتات المعمرة تنمي جذوراً طويلة للغاية بالنسبة للنبات الظاهر على سطح الأرض . وقد تبلغ هذه الجذور في بعض الشجيرات بالنسبة لطول الساق الظاهر على الأرض عشرين مرة أو تزيد عن ذلك ، حتى تصل الى بعض موارد مختفية من الماء .. !!

والنباتات الحولية أو القصيرة العمر ، شبكة من الجذيرات الشعرية تنتشر تحت سطح الأرض مباشرة لتمتص الرطوبة التي خلفتها فيها المطر أو الندى ، فإذا ما جفت منها ذبلت ومات .

وليست قوة احتمال هذه النباتات ترجع لقدرتها فقط على تقليل التبخر الى نهايته الصغرى ، إذ يكون هذا التبخر أحياناً أكثر ارتفاعاً من المعتاد . وإنما يرجع ذلك لقدرتها العظيمة في امتصاص الماء من الأرض وإن قل أو ندر وجوده . وهذه المقدرة أعظم بكثير مما هي في النباتات الأخرى المعتادة . فقد يصل الضغط الأسموزي الذي به تسحب النباتات المياه خلال أنسجتها الى قوة تتراوح بين ٨ : ٢٠ جوّ ولكن هذا يتساوى مع ما في النباتات الحولية الصغرى ، ويفوقه بكثير ما في النباتات المعمرة والأعشاب ، وقد اكتشف الهر فتنج Fitting أن الضغط في بعض النباتات يصل الى نحو مائة جو وذلك كما في زيارة أم الندى Reaumuria, L.

مما تقدم يتبين لنا أن الجدب لا يُنسب لعدم وجود الماء ، وإنما يرجع لعوامل وأسباب أخرى نذكر منها :

١ — فقر التربة في المواد الغذائية التي تحتاجها النباتات .

٢ — توجد أماكن منخفضة بها مركبات ملحية تخالط التربة بكثرة فالبقاء السكراس Seburaea (٢٠) ولو أن في الصحراء نباتات محبة لهذا الملوحة . الا أنه توجد نباتات لا يمكن أن تعيش بالقرب منها . ويصادف أن النباتات التي تحتمل هذه الملوحة لا يلائمها الطقس الذي به هذا النوع من التربة .

٣ — اجتياح الغزو الرملية لبعض المناطق ذات النبت ، فلا تُبقي على أي نبات عندما تغمره ، وإنما تهلكه بأسرع ما يمكن . اللهم الا اذا بقيت القمم النامية ظاهرة على سطح الارض . هذا في حين أن الرابية الصغيرة التي تتكون أحياناً حول جذوع النباتات التي لها قوة احتمال التغيرات الجوية لها فائدة عظمى ، إذ انها تساعد على التبرعم كما انها تحتفظ بالرطوبة الجوية المتخلفة من الأمطار شتاء والندى ليلاً ، ولهذه الرطوبة من الأهمية العظمى للنبات مانعا .

٤ — رحيل البدو التي تتربى في الصحراء عامل هام في جذب بعض المناطق إذ انها تطرش القمم النامية لجميع النباتات الخشبية الصلبة ، وتأكل الحوليات التي تعطي بزوراً .

٥ — البدو . وهم دائبو السعي وراء الوقود للدفء غذاء ، ولطهي الطعام وعمل الشاي طوال أيام السنة ، فالبدوي سواء المتوطن أو المتنقل ، يقتلع من الارض ما تصل اليه يده من الاحطاب خصوصاً نبات «الليل» إذ أن بقايا جذوره تعتبر وقوداً فائق الجودة ، لذلك تجده قد اختفى من الصحراء اللهم الا من منطقة قطرها ٣٠ : ٥٠ كيلومتراً من الواحات

ومن النادر أن تجد مرعى في الصحراء لم ترعه الابل مرة في العام على الاقل ، أو لم ترعه الأغنام التي تسعى وراء الكلأ بالقرب من مضارب البدو المقيمين بالصحراء .. وعلى العموم فان الانسان والحيوان عامل متلف دأب على ذلك آلاف السنين حتى أكسب هذه المناطق صفة الجدب

٢ — ﴿ المناطق ذات النبت ﴾ : وتنقسم قسمين (١) مناطق نباتية برية (٢) مناطق نباتية زراعية .

١ — المناطق النباتية البرية

وهي التي تنمو فيها نباتات كثيرة أو قليلة دون أن يكون في وجودها دخل لليد الانسان وتتكاثر هذه النباتات غالباً بالبزور التي تنتشر بين السهول والأودية وفي جميع مناطق نموها بعوامل طبيعية كثيرة أهمها :

١ — الرياح : وهي عامل مهم في نقل البزور ذات الشعر التي تتطاير في مهابها متنقلة من مكان الى آخر حتى تصادف المكان الرطب الذي تنمو فيه كالارخ Leptadenia, R وهناك نباتات تتنقل بأكملها مع الرياح حيث تنمو من جديد في أماكن أخرى ، ونبات كف مريم Rose of Jericho مثل صريح على ذلك ، إذ عند ما ينقضي فصل الأمطار يلف هذا النبات الصغير فروعه فيصير كتلة كروية صغيرة تحتفظ داخلها بالبزور .. ثم تقتلع نفسها من جذورها ، وتستسلم للريح التي تدحرجها أمامها على أديم الصحراء فاذا ما صادفت الى مكان نديّ أو أدركها موسم الأمطار تفتحت وأرسلت بجذورها في الأرض ونمت مرة أخرى

وزهت الثمار وانفتحت تنثر البزور فيما حولها وفي خلال أربع وعشرين ساعة تكون قد نبتت وأرسلت الى الأرض بجذيراتها الدقيقة .

٢ — السيول : وعند ما تسقط الأمطار بغزارة في الصحراء تتجمع السيول وتتصدر نحو المنخفضات حاملة معها ما خلفه الموسم الماضي من بزور على الروابي ، فتوزعه على ما تمر به من أودية وسهول حيث تنمو عقب رسوبها .

٣ — الحشرات : وفي زمن الصيف تكثر في الصحراء الحشرات الصغيرة التي تسكن الجحور وهذه الحشرات تقضي ايام الصيف دائبة السعي وراء جمع مؤونتها حيث تخزنها في بيوتها تحت التربة وبين ما تجمعه بزور بعض النباتات التي تعثر عليها ، فاذا ما جاء فصل الأمطار نبتت هذه البزور ، وقد لوحظت مثل هذه الحالة في ناحية برج العرب حيث شوهدت بعض أنواع من النمل تحمل ثمرات الخبازى الى بيوتها لاعتبارها وقت المجاعة .

٤ — الطيور : وتحمل الطيور بعض الثمار ذات البزور من مكانها الى مكان آخر حيث تأكل لحم الثمار وتترك البزور التي ربما تصادف جوا مهيئا للنمو . فتنمو . !!

٥ — الجمال : وتتناول الجمال بين ما تتناوله من علف بعض الثمار ذات البزور الصلبة التي لا تهضم فتخلفها في روثها في أماكن بعيدة خلال رحلاتها الطويلة في الصحراء كالخروب مثلاً . وقد شوهدت بزوره في روث الجمال في أماكن كثيرة .

٦ — الحيوانات ذات الفراء : كالغنم مثلاً إذ تعلق بصوفها البزور أو الثمار ذات الأشواك أو البزور ذات الخطافات .. كالقريس Tribalus alatus

ومن أهم خواص نباتات الصحاري عدة الحساسية المرطوبة فان السيقان وأعناق الأزهار وصمامات الثمار وشعابات الأزهار أيضاً تكمش بإحكام في بعضها البعض عند جفافها فاذا ما ابتلت انفرجت ، وتفتحت ، ولهذه الوصلة لا تنبعث البزور إلا في موسم الرطوبة .

وجميع هذه النباتات البرية تتبع فصائل عدة من ذوات الفلقة الواحدة وذوات الفلقتين وبينها الحولي وذو الحولين والمعمر ، كما أنها تضم بينها الحشائش والأعشاب والشجيرات والأشجار .. !!

أما الحوليات فموطن أغلبها المنطقة الساحلية وكثرتها الغالبة في مربوط حيث تنمو بعد سقوط الأمطار شتاء ، وتزهر في فصل الربيع مع النباتات الأخرى ذات الحولين والمعمرة فتحيل الصحراء القاحلة صيفاً الى فردوس جميل ، يلذ للنفس أن تستمتع بما فيه من نضارة . لذا فقد أخذت المنطقة الساحلية وهي رأسها مربوط شهرة واسعة بأزهارها الجميلة في فصل الربيع من أقدم العصور ، وإن الذي يرى تنسيق الأزهار في مجاميعها وتوزيعها

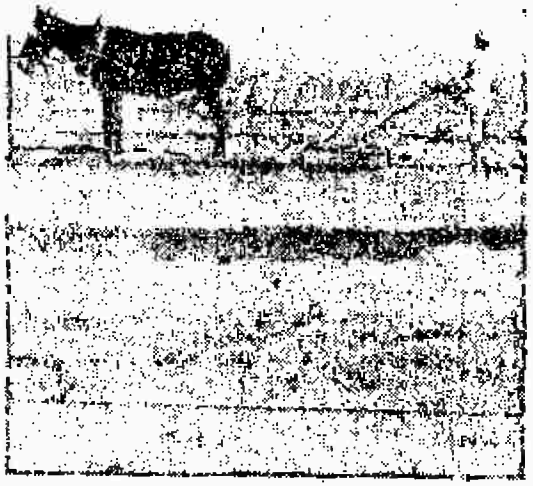

المحراث الأفرنجي يجره بغل يقسم البساتين
سنة ١٩٣٥ ببرج الغرب

معصرة زيتون بلدية وتصنع من خشب النخيل
وخشب الزيتون

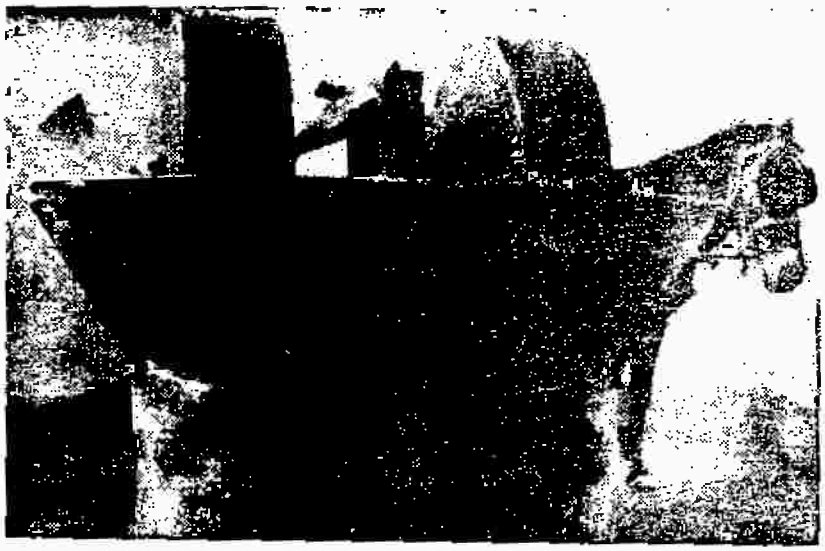

هراس الزيتون ببرج العرب سنة ١٩٣٥

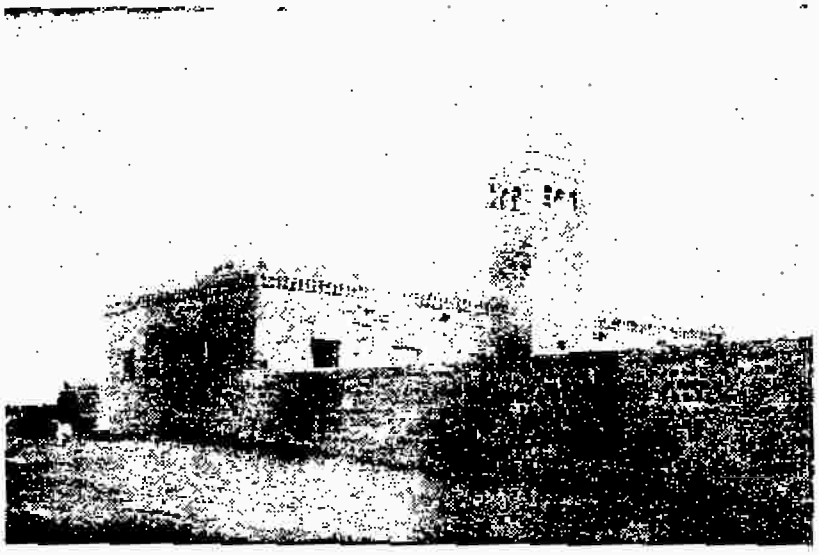

معمل الزيت من الخارج ببرج العرب سنة ١٩٣٥

المحكم، يُدهش كل الدهشة، إذ يجد أن الطبيعة قد تحدّت بهذا التنسيق والتنميق كل فنان بارع يختال ويزهو بما وُهب من فن في هذا المضمار .

ومن الطريف أننا نجد تفتح الأزهار الجميلة الألوان متعاقباً ، ففي ديسمبر تزدحم التربة بكرونات نبات الكنه Colchicum Ritichu الذي تتعاقب صوفه الزهرية بسرعة بمشرات الأزاهير اللمعية والحمراء اللون ، وقبل اختفاء هذا النوع تبدأ الشقائق تنشر رداءها الجميل الذي يظل منبسطاً فوق أديم الصحراء بلونه الوردي الباهت والأزرق الداكن ، وفي وسط الزهرة عيون سوداء تكسبها جمالاً ما بعده من جمال .

وتكثر هذه النباتات الشقيقية وتزدحم حول البرك وقد تبلغ السوق الزهرية في بعض الأماكن من ٥٠ : ٨٠ ساقاً في الباردة المربعة ، وتظل أزهارها تبسم من أواخر ديسمبر إلى أواسط فبراير .

وبلي موسم الشقيق أبصال كثيرة قد تبلغ أنواعها الثلاثين نوعاً منتشرة بين الأراضي المنزرعة شعيراً والأراضي البور، فتوجد أول نباتات Ixgea fibrosa متجمعة كخصل بمستوى سطح الأرض ، ثم تليها الأزهار البيضاء لنباتات Ornithogalum tenuifolium التي توجد متقاربة حتى أن ما يوجد في الباردة المربعة يبلغ أحياناً المائتي نبات . بينما توجد أنواع بصل الفار (صلا) خصوصاً النوع Scilla peruviana الذي تنبعث حوامله الزهرية بأزهارها السنبلية الزرقاء مشرقة بين رمال الصحراء . وبينها تظهر أنواع الباصنت بزهراتها الزرقاء والأرجوانية والنيلية اللون . ثم يأتي نبات Asphodelus microcarpus الذي يبلغ ارتفاعه حوالي خمسة أقدام ، وأخيراً تبدأ نباتات Alliums مشتهرة بأنواعها الاثنى عشر في مختلف البقاع فتكسو بألوانها القشدية والقرنفلية الصحراء جمالاً وبهجة . وفي مارس يظهر السوسن القصير Iris Sisyrin chium في البرك المكتنزة بكثرة حتى أن الباردة المربعة قد تضم أحياناً مائة نبات أزهارها مختلفة الألوان بين أزرق باهت وأرجواني . ودائماً تتفتح أزهار السوسن من الظهر الى وقت الغروب .. !!

واذا ما حلّ مارس ، وأخذ لواء الربيع يخفق فوق الحقول والرياض تربعت مربوط في الصدارة من الرياض النضرة لا يجاريه على الربيع البديع من جمال باسم إذ يزهر بها ما يقرب من مائتي نوع من النباتات ذات الأزهار الجميلة ، عدا الأنواع الأخرى التي تكون في آخريات

أيام إزهارها .. ويمكن حصر النباتات التي تزهر في هذه الفترة بين العائلات الصليبية .. والخشخاشية .. والبقولية .. والمركبة .. !!

فبينما نجد عدداً كبيراً من أزهار الخشخاش .. بلونها الأحمر القاني المبقع باللون الأسود عند قواعد البتلات .. ترف بين أصابع النسيم متمايلة على حوافها الزهرية صابغة الأرض من تحتها بلونها عند ما تسقط عليها أشعة الشمس نرى أن المنثور Matthila huimelis يزدهم بحال غريب إذ يغطي ربع المساحة المخضرة تقريباً ، وهو يقوم أحياناً بدور الأطر للبسط الزهرية . وأحياناً ينمو منفرداً في مساحات لانهائية الإتساع ، ويحاكيه في بعض الأماكن نوع آخر من العائلة الصليبية يعرف باسم Carrichtera إذ يبدو حاملا أزهاراً كالبرد .

وأهم النباتات ذات الأزهار الصفراء هي اللوتس Lotus والأقحوان و Vetches الحلبة التي تفترش التربة وتغطيها ، ثم الحمضيض وهذه جميعاً تصنع بساطاً زهرياً غاية في الجمال

ويتوفر اللون الأزرق والبنفسجي في نباتات عائلة لسان الثور مثل حناء الغول وشاق الحمامة Echium Sericeum وهذا النوع ممتاز جداً في هذه المنطقة إذ تبدو أزهاره كبيرة الحجم وبه أزهار كاملة ، إذ تحمل أعضاء التأنيث والتذكير معاً ، وأخرى عقيمة لا تحمل غير أزهار التأنيث ، وكلاهما مميز عن الآخر .

هذا من الناحية الزهرية أما من النواحي الأخرى فبين نباتات الصحراء أنواع كثيرة لها فوائد واستعمالات طبية وأخرى خشبية أهمها من الوجهة الطبية :

السنا أو السنامكي [١] العرفسوس [٢] العشار [٣] الحرمل [٤] الشيح البلدي أو البعثران [٥] لسان الحمل [٦] بصل الفار [٧] الوردة الدهماء [٨] السكران [٩] الحنظل [١٠] الكبار أو القبص [١١] الهيجليج [١٢]

ومن الناحية الخشبية :

السيال [١٣] السنط [١٤] الطلح [١٥] القرض [١٦] السواك أو الأراك [١٧] الطرفة [١٨] الحطب الأحمر [١٩] الحماط [٢٠] الدوم [٢١] الهيجليج والعوسج [٢٢]

---

(١) Cassia acutifolia (٢) yeirshyza O Iglabra (٣) Calotropis Procera (٤) Pegarium Harmala (٥) Artemisia judaica (٦) Plentago (٧) Scilla maritima (٨) Malva Silvestris (٩) Hyoscyamus Moticus (١٠) Citrullus Colocynthis (١١) Capparis Spinosa (١٢) Balanites aegyptiaca (١٣) Acacia tortilis (١٤) Acacia arabica (١٥) Acacia Seyal (١٦) Acacia sp. (١٧) Salvadora Persica (١٨) . (١٩) Tamarix (٢٠) Ficus Pscudo-yeomarus (٢١) Hyphaene sp. (٢٢) Lycium afrum

٢ — المناطق النباتية الزراعية

وتتكوّن من شريط ضيق من التلال الشاطئية dunes يبلغ في سمته الميل تقريباً ، ومكوّناته حُبيبات جيرية ، وهذه الأحجار الجيرية معرضة دائماً لأن يعلوها ماء البحر ، وينحسر عنها . في عملية المد والجزر فيغسلها . ثم تؤثر عليها الرياح الشمالية فتنقل بعض جزيئاتها الى داخل الصحراء حيث تكوّن من ٦٠ ٪ الى ٧٠ ٪ من التربة المجاورة للشاطئ والتي تمتاز بخصبها ، وبثروتها النباتية البرية والزراعية ..!!

ويلي هذا الشريط من الداخل حوض ضيق سمته نصف ميل تقريباً ثم يلي ذلك زوج متوازٍ من الخطوط الجيرية الجيرية على مسافة ٢ ميل تقريباً وبينهما الحوض الجاف للذراع الغربي لبحيرة مريوط

والجزء العلوي في الخطوط المرتفعة خالٍ من التربة بفعل المطر الغزير الذي ينقلها إلى المنخفضات المجاورة حيث تترسب فوق بعضها فتكوّن مهاداً خصبة صالحة للزراعة . . أما قمم المرتفعات فغالباً ما تُتّخذ أماكن لقبور المرتى « قرافات » وكانت في الماضي السحيق موضعاً لإقامة القرى التي تشاهد أطلالها الدارسة ، أو توجد بقاياها رابضة دون سطح الأرض بقليل اذ تراكمت عليها السافيات فوارتها عن الأبصار . !

وفي جنوب الخطّ الداخلي تنحدر الأرض تدريجيًّا لمسافة ١½ : ٢ ميل ثم تأخذ في الارتفاع تدريجيًّا أيضاً نحو نجاد الصحراء الغربية التي تمتد إليها منطقة سقوط الأمطار الساحلية لمسافة ستة أميال .

ومما يؤخذ من الدراسات التاريخية لهذه المنطقة أنها كانت آهلة بالسكان ، مليئة بمزارع الكروم التي ظفرت بشهرة واسعة خصوصاً النبيذ المستخرج منها . ويقول « استرابو » في ذلك « أن النبيذ الناتج من كروم مريوط أفضل أنواع نبيذ العالم » وقال المقريزي « إنّ بساتين العنب كانت منتشرة بكثرة في مريوط » وأجمع المؤرخون على أنّ مريوط كانت تدفع جزءًا من الخراج المقرر عليها زيتاً من المستخرج من كرومها . ولا يزال السكان في هذه المنطقة يطلقون على كل التلال المرتفعة اسم كروم ومفردها كرم أي حقل من العنب ، وهذا دليل على ما كان منتشراً حول القرى القديمة التي تدل على آثارها هذه التلال ، من بساتين العنب . . ! (١)

ولقد بقيت هذه المنطقة زاهرة عامرة بالسكان الى ما بعد الفتح الاسلامي بثلاثة قرون ومنذ ذلك العهد البعيد أخذت في الإضمحلال العمراني ، وليس السبب في ذلك راجع لنقص

(١) أنظر الباب الخامس

في سقوط الأمطار ، أو لأي عامل طبيعي أثر على الحياة الزراعية فيها ، وإنما يرجع لأسباب أخرى سياسية واستعمارية

وتتكون التربة في منطقة مريوط عدا جزيئات الطبقة الجيرية التي تكون فيها ٣ر٣٥٪ وتقل كلما أوغلنا في الصحراء وبعدت الفقة بيننا وبين الشاطىء تتكون من جزيئات من رماد الصحراء قطر حبيباتها أقل من $\frac{1}{200}$ من البوصة بنسبة ١١٪ وطين ناعم بنسبة ٣ر٢٤٪ ورمل خشن بنسبة ٩ر٢٥٪ ومواد ذائبة بنسبة ٥ر١٪

وبالجملة فان أغلب أراضي هذه المنطقة ثقيلة كثيرة الحصب ولها خاصة التعفن إذا ما سقطت عليها الأمطار ، واذا ماجفت تماسكت وصارت صلبة ..!!

ويجري البيع والشراء لحق الانتفاع بالأراضي الزراعية — إذ لا ملكية في الصحراء — على أساس « فرى الأردب من الشعير » الذي يعتبر المحصول الأساسي لهذه المنطقة . وفرى الأردب هي المساحة التي تتسع لزراعة أردب من النقاوي . وحيث أن الفدان يأخذ ثلاث كيلات من النقاوي فرى الأردب يوازي أربعة أفدنة تقريباً . ويساوي من جنيهين الى عشرين جنيهاً . وتزيد قيمة الأرض وتقل حسب وقوعها في سفح تل أو مرتفع من الأرض أو بعدها عن المرتفعات ، فكلما قربت من الهضاب والتلال كانت غالية الثمن وذلك لأنها تكون عرضة لأن يغمرها السيل المنحدر من فوق المرتفع الذي يجاورها فيزكو زرعها . واذا كانت بعيدة عن المرتفعات قل ثمنها لأن ما نصيبه من السيول يكون قليلاً .

ويجب أن يظفر المشتري بتوقيع شيخ العائلة أو القبيلة على عقد البيع ، وذلك ضماناً لعدم نقض البيع أو الرجوع فيه أو حدوث أي مشاغبات تعوق المشتري عن الانتفاع بالأرض

وأما الزراعات التي تزرع في مريوط فيمكن تقسيمها قسمين :

ا — زراعات حولية ب — زراعات معمرة

ا — الزراعات الحولية : وهي التي تزرع وتنتهي دورة حياتها خلال العام وتشمل الشعير وهو أهمها وبعض أنواع الخضروات التي تستهلك محليًا وليس لها أية قيمة تجارية

ب — الزراعات المعمرة : وهي التي تمتد دورة حياتها لأكثر من حولين وتزرع منها الزيتون والنخيل واللوز والخروب والفستق والخوخ والتين والعنب والصاب . وكذلك الأشجار الخشبية جميعها . ويعتبر الزيتون في مريوط كالمحاصيل الزراعات المعمرة إذ يستخرج منه الزيت الجيد الذي يفوق في جودته جميع أنواع الزيوت المستوردة من الخارج وذلك بفضل صبر قسم البدائين على تنمية هذه الصناعة ونشرها في الصحراء . وأما اللوز فهو خير ما يمكن أن تستغل به هذه المنطقة من الزراعات لصلاحيته للإقامة تحت ظروفها الطبيعية القاسية ولأن ثمنه ونوعه غاية في الجودة .

١ — الثروة الحيوانية

ينقسم البدو المقيمون بالصحراء الغربية عامة ثلاثة أقسام من حيث الاشتغال بتربية الحيوانات ، وتنمية الثروة الحيوانية . ففريق منهم لا يأبه بها مطلقاً منصرفاً عنها للاشتغال بالزراعة وفريق يوزع حياته بين الزراعة وتربية الماشية ، وفريق ثالث لا يركن للزراعة مطلقاً وإنما يشتغل بتربية الأغنام والإبل .

وهذا الفريق الثالث يقطن غالباً بعيداً عن الساحل وليس له مستقر معلوم ، وإنما يقضي حياته متنقلاً بأنعامه وراء المراعي المخصبة . ففي الشتاء بعد ما تسقط الأمطار يأخذون في التجوال بين ربوع الصحراء سعياً وراء المرعى ، وإذا ما حلّ الصيف وأجدبت البادية انتقلوا الى الصحراء المجاورة للوادي من حدود مديرية البحيرة ومركزي أبي المطامير أو الى أقاصي الصعيد .

أما الحيوانات التي يشتغلون بتربيتها ، ففي مربوط تكثر الأغنام والماعز . وأما في برقي والسلوم فإنهم يزيدون عليها الإبل بكثرة إذ يربونها على هيئة قطعان يدعونها ترعى في الصحراء .. أما المشتغلون في تربية الماعز والأغنام ففي كل عام يفصلون عنها الذكور فيبيعونها ويبقون على الإناث للتربية مع القطيع ، وهم في ذلك موسم عام هو شهر مارس من كل عام .. وذلك بعكس المشتغلين بتربية الإبل إذ لا يبيعون منها إلاّ عند الحاجة فقط وإنما يستغلونها في حمل الأثقال إما بالأجر بين الوامات المختلفة أو لحسابهم ان كانوا ممن يشتغلون علاوة على ذلك بالتجارة ..

ويبلغ تعداد الإبل في الصحراء الغربية ٢٥١٦٦ والأغنام ٧٣٦٥٨ والماعز ٢٩٨٨١ إلاّ أن هذا التعداد عرضة للزيادة والنقصان تبعاً للظروف والطوارئ المفاجئة .

ولمربي الأغنام نظام خاص في رعايتها ، إذ أنهم جعلوا العام بالنسبة للأغنام نصفين .. نصف تصوم فيه عن الماء فلا ترده .. ونصف تسقى فيه كل ثلاثة أيام .

فعند ما يبدأ الكلأ يكسو أديم الأرض مخضرته يمنعونها من أن ترد الماء مطلقاً ويكون ذلك عادة من أوائل نوفمبر ، ويظل هذا المنع الى أواخر ابريل أو منتصف مايو حتى تجف كل نبتة خضراء في الأرض ويقولون في ذلك « ما تشرب حتى تصيف الحشيشة » وبعد ذلك يسقونها كل ثلاثة أيام .. !!

ويخرج الرعاة بأغنامهم الى المرعى عند الأصيل من كل يوم فلا يعودون الى « المراح » إلاّ إذا ارتفع الضحى ، اللهمّ إلاّ في الأيام الغائمة فإنهم يواصلون الرعي طوال اليوم . فإذن أنسب وقت للرعي هو الليل إذ يقضونه متنقلين بأغنامهم بين المروج .

والرعي مهنة بين مكال مربوط إذ يجمع الراعي القطعان الصغيرة من ذويها ويضمها بعضها الى بعض ، ويرعاها متجمعة لقاء أجر شهري يتقاضاه عن كل رأس وعادة لا يزيد أجر الراعي عن الرأس في الشهر عن خمسة قروش .. والراعي يستطيع أن يتعرف على كل رأس من الضأن ومن صاحبها بما جُبل عليه من فراسة ومران.

وهناك رعاة يرعون الأغنام بالمشاركة في النتاج ، ومنهم من يرعى أغنامه هو أو يستأجر لها راعياً ان كانت كثيرة . .

ولبيع الغنم موسم عام يبدأ من شهر مارس ، ويسمّونه « قطف الحولي » ولذلك أسواق عامة تعرض فيها « الحوالة » بالألوف ويجري البيع والشراء على الصفقات بين التجار الذين يؤمّون هذه الأسواق والمنتجين . .

وأهم هذه الأسواق في الصحراء الغربية قاطبة « سوق الحمام » الذي يقوم من أصيل يوم الجمعة من كل أسبوع وينفض في ظهر السبت ، وترد اليه الأغنام من كل فج في الصحراء من أقصى طرابلس الغرب الى العامرية . ولا تعمر السوق ويحمى وطيسها إلاّ عند ما تبدأ أغنام برقة في الورود اليها . وترد الأغنام من برقة الى الحمام ، إما في القطار وذلك أخيراً فقط أي بعد الحرب الأخيرة عند ما صُرح باستعمال الخط الحديدي الذي مدته السلطات العسكرية بين مرسى مطروح وطبرق لأغراض حربية . عند ما صرح باستعماله مدنيًا . وإما أن ترد بسوقها رعاتها في عرض الصحراء متنقلة بين المراعي . الى أن تصل الحمام .

وعدا سوق الحمام سوق العامرية وبهيج ومرسى مطروح ولكنها ليست بذات أهمية إذ العمل كله مركز في سوق الحمام .

وليس هناك أمتع من أن يرى الانسان التجار يعدون الأغنام فليهم في عدها طريقة تحمل الرائي على الضحك وقتاً طويلاً .

والبدوي لا يسره أن تلد شاته هلين بل إنه ليفضل أن تلد شاته واحداً في كل عام ، وسرعان ما يتخلص من التي تلد اثنين لأنه يرى فيها عترة لا تصلح للتربية إذ أنها لا يمكنها أن تظل قوية وهي ترضع توأمين .

وعدا النتاج ينتفع البدوي من وراء غنمه بالصوف وله موسم في أبريل إذ يقصّون الكبار والصغار ويقولون « يُجزقم » الغنم بدلاً من « يقص الغنم » ويتركون على كتف الحولي ابن العام الواحد خصلات من الشعر دلالة على أنه لم يمض الحول . . واذا ما فعلوه في العام الثاني تركوا خصلة أخرى على مؤخرته . . وكذلك الألبان فانهم يشربونها فقط أو يصنعون منها المسلي الفيحي

٣ — التجارة

والتجارة في الصحراء نهج خاص ، إذ لا يعرف تجار الصحراء التخصص في الاتجار بنوع واحد من البضاعة وإنما يبيع التاجر كل شيء يلزم للحياة المعيشية وكل ما يمكن ان يتجر به ، فبينما تجده يبيع البقالة تجده يتجر بالأقمشة والحبوب والخضروات والفاكهة والحيوانات . . ولا تجد في الصحراء أبنية مقامة ملكاً للبدو إلا الخوانيت وهي مجمع الفتيان والرجال إذ تتخذ كمنتديات يجتمعون فيها أيضاً ويقضون محوارها الأصائل وجزءاً من الليل وأوقات الفراغ ..

والتجارة إما يجري فيها البيع والشراء بالنقد أو على أجل . وفي حالة الأجل يقبضون طريقة خطرة ، هي طريقة (العقد) وتتلخص في ان البدوي يأخذ ما يحتاجه من بضاعة وتقود ويكتب عقداً للتاجر أو الدائن بأن يسلمه وقت السداد قدراً من الحاصلات التي تكون موجودة عند انتهاء أجل العقد ، وفي مقابل ذلك يتغالى التجار في ثمن البضاعة . والدائنون — إن كان الدين قرضاً — في امتصاص دم المحتاجين من البدو . وللمحتاج أن يأخذ أو يرفض وهو بطبيعة الحال أمام حاجته الملحة لا يسعه إلا القبول .

ولا بد من أن يضمن شيخ القبيلة المدين ويكفل الدائن السداد ان كان الدائن هذا من غير البدو ، حتى اذا ما حضر الموعد ولم يف المدين بدينه رجع الدائن بعقده الذي في يده على شيخ القبيلة الذي يجبر الممتنع على الدفع والسداد أو طلب التأجيل . . !

وعند طلب التأجيل يعقد عقداً جديداً ، وفيه مضاعفة للفائدة .. وهكذا من موعد الى موعد حتى يصبح الدَّين جملاً .. ولقد حدثني أحد البدو ان اعرابياً فقد ناقة له على هذه الطريقة ، مقابل خمسة قروش .. إذ اقترض هذا المبلغ الضئيل على موعد ولم يف به ، وطلب التأجيل ، فعقد الدائن بريال .. ثم طلب التأجيل عند الموعد الثاني .. فكان العقد بخمسين قرشاً تسلم للدائن إما شعيراً أو نقداً وهكذا الى ان جاء ذات يوم وأخذ الدائن ناقة الرجل وفاء لدينه إذ كان الدين الذي على المدين يفي بثمن الناقة .

ويعقد البدو على ثلاثة مواسم هي :

الموسم الأول : « ويسمونه عقد الحول » وموعده شهر مارس من كل عام ، وذلك عند عزل الذكور من أبناء الغنم بعد رضاعها من خمسين الى ستين يوماً إذ تلد الأغنام غالباً في شهر يناير ويظل الحمل الصغير يرضع أمه ستين يوماً يُعزل بعدها ان كان ذكراً ..

الموسم الثاني : « عقد الدمير » ويعتبر ثاني المواعيد وأهمها ويحل بعد الحصاد اي في مايو واوتوبر .

الموسم الثالث : عقد السمان : وهذا قاصر على طائفة قليلة من البدو وهم صائدو السمان من سكان الساحل ويحل الموسم في شهر سبتمبر وذلك عندما تبدأ الطيور هجرتها من شمال البحر الابيض المتوسط الى جنوبه ، أي من الشاطىء الاوروبي الى الشاطىء الافريقي . وتبدأ الهجرة بتحرك أفراج الطيور في الثلث الاخير من أغسطس إذ تظهر على الساحل الافريقي في أوائل سبتمبر وذلك هرباً من شتاء أوربا القارس البرودة وطلباً للدفء في أفريقيا ذات الشتاء الدافىء . وبما أنه يقطع مسافات طويلة عبر البحر لا يأكل ولا يستريح فانه يصل الساحل الافريقي منهوك القوى متعباً قد أضناه الجوع فلا يكاد يرى الشاطىء حتى يلقي بنفسه على الارض . هنا يكون الصيادون قد أعدوا له شباكاً صغيرة مخفية خلف الاعشاب والشجيرات خصوصاً المتنان ، وعند ما يهبط السمان يسرع الى الاختباء خلف أي شجيرة فلا يجد غير هذه المخابىء المهيأة تهيئاً مغرياً فيدخل فيها . وبعضهم يضع له بعض الحب لكي يغريه بالدخول . وعادة يجعلون الفتحة التي يدخل فيها نحو الجنوب لأنه دائماً يتجه وهو على الارض نحو البحر ويمر الصيادون كل ساعتين لجمع ما يمكن أن يكون قد دخل في المصايد . وعندما يحس الطير بقدم تدب نحوه يحاول الهرب نحو البحر فتحجزه الشبكة التي تقوم كحاجز يمنعه من الفرار . ويجمعونه فيقدمونه للتجار الذين يحضرون لشرائه خاصة لكي يصدروه الى بلاد الفطر . وعلى هذا الموسم يعقد هؤلاء الصيادون ويسددون العقود

وهنالك موسم رابع ضئيل لا يعقد عليه الجميع بل فئة قليلة من البدو وهو اذا كان للرجل إبنة على أبواب الزواج يستدين على مهرها وهذا نادر

٥ — كهنة آمون

يطلق اسم « مريوط » على الأقليم المتاخم لحدود مدينة الاسكندرية الغربية من الداخلة الى مدينة الضبعة لمسيرة ١٦٥ كيلو متراً نحو الغرب على الساحل الأفريقي للبحر الأبيض المتوسط . . وهذا الأقليم الصحراوي مأهول بالسكان من العرب الرُّحَّل الذين يُعرفون الآن بقبائل « أولاد علي » وقد كان قدماء المصريين يعرفونهم باسم « قبائل ليبو Lebu أو ريبو Rebu أو الليبيين » وكان الإغريق القدماء يطلقون إسم « الليبيين » على قوم يقطنون إقليماً عرفوه إذ ذاك باسم « إقليم التِّحنُّو أو التِّمُحُّو » وكان متاخماً لحدود مصر الغربية على مسيرة عشرة أيام من حدود الوجه البحري ، وكانوا يعيشون كما يعيشون اليوم قبائل متناثرة في عرض الصحراء في ذلك الشريط الساحلي الذي تنفحه السماء كل عام بصيِّب الغيث فينتج أطيب الثمرات

وكثيراً ما كانوا يتجمعون تحت إمرة واحد منهم ويغيرون على مصر مقتحمين حدود الوجه البحري ، وليست إغارات الليبيين هذه بالأمر الذي يُعرف له تاريخ بالضبط ، وانما هي شيء قد انطوى في ثنايا المجهول ككل ما حدث قبل التاريخ ، إلا أنَّ الأمر الذي نستطيع أن نجلوه على ضوء البحث والتحقيق أن هذه الإغارات معروفة منذ عام ٤٠٠٠ ق . م . إذ تشير أقدم أخبار الوجه البحري الى منازعات ومشاحنات مستمرة وقعت بين أهليه والليبيين ، لذلك لايبعد أن تكون « المملكة البحرية (٢١) تحت حكم « ملوك ليبيا » مما يرجح ذلك أنَّ الجهة الغربية منها قد انصبغت بصبغة هؤلاء القوم ، تلك الصبغة التي بقيت ظواهرها حتى زمن « هيرودوت » المؤرخ اليوناني الشهير . وثمَّ دليل آخر ، ذلك أن معبد « صالحجر » (صايس) الواقعة غربي الدلتا والمعتبرة مركز النفوذ الليبي ، سُمِّي نديماً « بقصر ملك الوجه البحري » ثم أن رمز المعبودة المسيطرة على ذلك المعبد وهي « نيت » استعمل في الوشم كثيراً على أذرع الليبيين ، ولا يبعد أن « صالحجر » كانت وطناً لملك ليبي قديم ، ووُجدت رسوم بارزة على جُدُر معبد هرم « صاحورع » بسرسير ، تمثل أربعة أسراء ليبيين واضعين على جباههم أصلال القراعسة ، يظن أنها وصلت إليهم لصلة دموية بينهم وبين ملوك ليبيا الذين حكموا الوجه البحري سابقاً .

هذا قبل حكم الأسر الفرعونية ولما أن قبض على زمام أمور الدولتين البحرية والقبلية ،

ملك واحد ، وتطلع الى الاصلاح ، ورأى ملوك الغراعنة الأول أن يضعوا حد لمهاجمة هؤلاء القوم لهم فتطلعوا الى الصحراء الغربية . ولكن شيئاً لم يحدث خلال حكم الأسر الأولى والثانية والثالثة الا في عهد الملك « سنفرو » آخر ملوك الأسرة الثالثة . إذ تجسمت فكرة التحصن الحربي من جميع الجهات الشرقية والغربية فخرج إلى الصحراء وبسط نفوذه على إحدى الواحات الشمالية إذ اعتبرها معقلاً حربياً هاماً يقيه شر هجمات الليبيين ، وكان ذلك في المدة قبل سنة ٢٩٠٠ قبل الميلاد .

ويعتبر هذا الغزو أقدم ما قام به ملوك مصر في الخروج الى تلك الجهات . إلا أننا نجدهم لا يعيدون الكرة ، ولا يقفون في وجه الليبيين الا مدافعين صائنين لحدودهم المستمرة ويبدو ذلك جلياً في عام ١٩٧٠ ق . م . حينما أغارت القبائل الليبية على الوجه البحري — كعادتها من قديم الزمان — تخرج اليهم « مرنبتاح » (٢٢) لكي يردهم ، ولكن التاريخ يقف بنا عند خروجه على رأس الحملة ولا يروي لنا من أخباره معهم شيئاً غير (وبينما كان منهمكاً في قيادة الحملة التي خرج بها اليهم إذ وصله نعي أبيه فعاد مسرعاً دون أن يخبر أحداً من رجاله بوفاة الملك حيث ربع ظل العرش) ، ومن حيث أن أخبار هذه الحملة قد وقفت عند هذا ، فمن الراجح جداً أن الغزاة تلقوا درساً قاسياً على يد جيوشهم هذا الذي لم يعاودوه ردحاً طويلاً من الزمان ، فلو لم يكن ذلك لما رجعوا عن غزو مصر . ولما جلس الملك على عرشه مطمئناً ، ولا رجح وقوع تعاهد بين الطرفين الاختلاف الكبير بين الدولة المصرية المنظمة . والقوم المهاجمين الذين لا يعرفون غير النظام العشوري الذي لا أساس له ولا دوام

وظل الليبيون ردحاً طويلاً من الزمان لا يقومون بإغاراتهم حتى كان عام ١٥٤٧ ق . م . بينما كان الملك « أمنحتب الأول » يتابع سيره فاتحاً في بلاد النوبة إذ بلغه وهو عند الشلال الأول نبأ إغارتهم على الحدود المصرية الغربية فعاد اليهم مسرعاً (٢٣) ولكننا لا نعلم أيضاً من أمر المعارك التي دارت وقتئذ إلا ما جاء على لسان « احمس بن ابنة » من أنه قتل ثلاثة من الأعداء ، وقطع أيدي كثيرين من الأسرى ، وأن جلالة الملك كافأه على ذلك كثيراً » .

يلوح لنا مما تقدم أن الملك « أمنحتب الأول » أنزل بهم من الفناء الشيء الكثير حتى أننا نرى أنهم لم يعاودوا الهجوم الا عند ما وجدوا لهم حليفاً يناصرهم . وذلك انه لما توفي « رمسيس الثاني » أخذ سكان البحر الأبيض المتوسط (٢٤) يزحفون على شواطيء مصر فنهبوا وسلبوا والاستيطان ثم اتحدوا مع الليبيين ، وأهالي آسيا ، فضغطوا باستمرار كالموج الزاخر على حدود الامبراطورية المصرية . وكانت خطتهم محكمة إذ ثبت

الثورة على الملك « منفتاح » في المستعمرات الآسيوية ، فاضطر لاخضاعها . وشغله هذا الأمر عن تلافي الخطر المحدق بالبلاد من الحدود الغربية إذ أخذت الحال غربي الدلتا تتغير من سيء الى أسوأ ، ذلك لأن الليبيين أخذوا يزحفون على مصر بطريق مستعمراتهم على شاطىء البحر الأبيض المتوسط التي أخذوا يستوطنون فيها متقدمين شيئاً فشيئاً ، نحو الدلتا ويحتمل أن تكون طلائعهم قد وصلت وقتئذٍ الى قناة عين شمس ، ومما هو جدير بالملاحظة أن جهات غربي الدلتا قد امتزجت بالدم الليبي امتزاجاً تاماً وكثرت فيها الأسر الليبية . ١١

تقدم الليبيون بمستعمراتهم الاستيطانية غربي مصر ، حتى بلغوا الشاطىء الغربي لفرع النيل الكنوبي Canopic المعروف وقتئذٍ بالنهر الكبير ثم استوطن ليبيون آخرون بالواحتين اللتين جنوبي وغربي الفيوم (٢٥) ووصف منفتاح هؤلاء القوم « بأنهم يحضرون أوقاتهم محاربين ليعلؤوا بطونهم كل يوم ، وقد أتوا الى مصر ليحصلوا على ما تحتاج اليه أفواههم »

ولما زاد عدد الليبيين بالدلتا ، تجاسروا وتطاولوا على فرعون مصر فجمعوا شملهم وكوّنوا قوة للتأهب للاستيلاء على أرض مصر ، وكانوا وقتئذٍ تحت قيادة ملكهم المدعو « مريي Meryey » وهذا أجبر بدو التحنو أي القبائل الليبية التي لا تزال منتشرة في عرض الصحراء الشمالية الغربية أن ينضموا اليه ، ثم استعان بقرصان البحر الأبيض المتوسط ، وأحضر زوجه وأولاده ، كما فعل ذلك حلفاؤه (٢٦) وأخذوا يزحفون على مصر للاستيلاء عليها والاستيطان بها .

وعلم « منفتاح » بالخطر الذي يهدد كيان مملكته ، فحصن قلاع عين شمس ومنف ، وفي آخر مارس من السنة الخامسة بلغه خبر زحف الليبيين على مصر فاستدعى رجاله بسرعة وأمرهم بحشد جيوشه وتجهيزها للقتال في مدى أربعة عشر يوماً ، ورأى في المنام « المعبود بتاح » في هيئة شيخ عظيم أهدى اليه سيفاً ، وطلب منه أن يُبطل الخوف والوجل ، فلما حل منتصف أبريل كانت الجيوش المصرية معسكرة غربي الدلتا ، وبالغة صفوف الأعداء .. وذلك وقت المغيب بالقرب من « بريوع Perie » وهي مدينة مجهولة الموقع بالضبط ، لكنها تبعد عن القلاع التي على رأس الطريق الموصل الدلتا بصحراء ليبيا بعدة أميال .

وكان « لمنفتاح » بالقرب من « بريوع » قصر عظيم وسط كروم كثيرة ، وشرقي ذلك تمتد حقول الدلتا الجميلة الجويلة الخيرات ، والتي كان مزارعوها في ذلك الوقت ، يجهدونها في همة ونشاط .. فلما وقع نظر الليبيين على هذه الخيرات العظيمة ، ازدادت همتهم ، واشرأبت أعناقهم إليها ، فاخترقوا صفوف القلاع الغربية ، وهناك التحموا بجيش منفتاح بالقرب من قصره في صباح الخامس عشر من ابريل ، واستمرت المعركة دائرة الرحى

بشدة مدة ست ساعات ، انتهت بطرد الليبيين بعدما تكبدوا خسائر فادحة ، فتتبعهم « منفتاح » بجيشه كما تفعل الجيوش الحديثة ، ورزقهم شر ممزق ، واستمر في التقدم أثرهم حتى بلغ « جبل قرون الأرض » وهو آخر حدود الدلتا الغربية ، وعنده هرب الليبيون . أما « مريي Meryey » فقد فرّ الى بلده بائساً من النصر ، تاركاً جميع أسرته وأثاث منزله في أيدي المصريين الذين استولوا على أسرى عديدين من الأعداء كما قتلوا منهم عدداً كبيراً ، وتقدر خسائر الليبيين وأحلافهم بتسعة آلاف قتيل ، تلثهم تقريباً من سكان البحر الأبيض المتوسط ، أما الأسرى فيبلغ عددهم هذا المقدار أيضاً ، وقد وقع بين القتلى أنجال ملك الليبيين الستة . . وغنم المصريون من هذه المعركة أشياء كثيرة . . منها تسعة آلاف سيف نحاس ، وعدد غير قليل من أدوات الحرب المختلفة ، وأطعمة جيدة أخرى ، وأثاث بديع وُجد في خيام ملك الليبيين ورؤساء بلاده يضيف الى ثلاثة آلاف قطعة . . ولما نهب المصريون خيام الأعداء أضرموا فيها النار ، فالتهمتها وصارت رماداً تذروه الرياح . . !!

ورجع الجيش المصري الى قصر « منفتاح » شرقي الدلتا ، يسوق إليه الجيش المشغول بأيدي الأسرى (٢٧) وأمتعتهم ، ثم أحضرت الغنائم تحت شرفة القصر الملكي ، فتفقدها الملك . واستقبل جمهور رعيته الجذل ، وبعد ذلك جمع أمراء مملكته في القاعة الكبرى من قصره . وألقى عليهم خطاباً عظيماً . . وبينما جلالته يوجه كلامه نحو أمرائه وصل اليه نبأ من قائد قلاع غربي الدلتا يفيده أن ملك الليبيين هرب مخترقاً خط الدفاع المصري ابلاً ، وأن قومه يئسوا منه فخلعوه ، وملّكوا عليهم غيره من خصومه . . وهكذا سقط الجزب الحربي في ليبيا ، ووقف كل هجوم من تلك الجهة على مصر في عهد منفتاح . .

ويُستدل من الفرح العظيم الذي عمّ أهالي القطر ، أثر هذا النصر الحربي أنّ هذا الجذل لم يكن لمجرد الفوز العسكري ، بل كان أيضاً لخلاص مصر من الوقوع في أيدي هؤلاء الأدعياء ، فقد وقف بذلك سلب غربي الدلتا الذي استمرّ جيلاً تقريباً . بواسطة الليبيين ، لذلك لم يكن هذا النصر درءاً للخطر دائم هدّد الإمبراطورية المصرية فقط . . بل كان فرجاً وخلاصاً من « كابوس » أثقل كاهل الأهلين ، وأذاقهم مرارة الحياة حيناً من الدهر .

وتوفي منفتاح عام ١٢١٥ ق . م . وعقبه ثلاثة ملوك آخرين سادت البلاد في ظلهم فترة خمول أدّت بها الى الضعف ثم الى الفوضى ، وكان الليبيون يترصدون حركات البلاد وسكناتها ويجدون في تدهورها وانحدارها نحو الضعف من حين الى حين ما يبعث في نفوسهم الأماني العذاب . . .

وتولى رمسيس الثالث ثاني ملوك الاسرة العشرين في عام ١١٩٧ ق . م . أي بعد منفتاح بسبعة عشر عاماً ، فوجد نظام القطر الداخلي في حاجة الى العناية والاهتمام من أثر ما نالت منه يد الفوضى ، فاشتغل في اصلاح ما فسد ، الأمر الذي شغل كل وقته فلم يتمكن من علاج الخطر الليبي إلا مكرهاً ، كما حدث أيام منفتاح — ومما زاد الطين بلة أن سكان شواطىء البحر الأبيض المتوسط أخذوا يفدون بكثرة على مصر ، وقد سلكوا في هجومهم طريقين ، أحدهما طريق سوريا ، فأطال الارناءوط وملكة آمور — وكان الهجوم من هذا الطريق على هيئة هجرة ، والثاني طريق أساطيلهم التي سيرها رجال جسورون منهم عن طريق شواطىء الدلتا ، وقد اتبع هؤلاء الاخيرون أساليب النهب والقرصنة أينما حلوا . ولما وصل الفريق الثاني الى شواطىء أفريقيا حيث وجد فيه الليبيين الذين أظهروا تمام استعدادهم للاتحاد معهم على نهب الدلتا واحتلالها . زحفوا جميعاً على مصر تحت قيادة ملك الليبيين « تيمر Themer » وكان الهجوم على مصر من غربي الدلتا بطريق البر والبحر .. والتقت الأعداء بجنود « رمسيس الثالث » بجوار مدينة « رمسيس الثالث معاقب أهل التمحو » أي « ليبيا » وهناك هزمهم رمسيس وحطم جانباً من سفنهم وأسر الجانب الآخر ، فرجع الأعداء بعد ما خسروا كثيراً ، لأن قتلاهم بلغوا إثنى عشر ألفاً وخمسمائة نسمة ، وأسراهم ألف نسمة على أقل تقدير .. وكان أغلب القتلى من القرصان .. !!

واحتفل « رمسيس الثالث » بهذا النصر احتفالاً كبيراً كما كان متبعاً عند ملوك الفراعنة ، فقابل في شرفة قصره أعيان بلاده الفرحين ، واستعرض الغنيمة الحربية ، ووهب كثيراً من الأسرى « لآمون » كالمادة الجارية ، وعم البلاد وقتئذ الأمن والسلام . وإليك ترجمة ما قاله الملك :

« لقد أمكن كل امرأة الآن أن تسير خارج دارها كما تريد رافعة ذراعها بلا خوف ولا وجل لأنه لم يعد أحد يتعرض لها »

وحصن حدود مملكته الغربية ضد الليبيين ، فشيد قلعة ومدينة على رأس الطريق الممتد من غربي الدلتا الى الصحراء وذلك في مكان مرتفع « يعرف بجبل قرون الأرض » الوارد ذكره في أخبار منفتاح .

وكأنما كان « رمسيس الثالث » يخشى إغارة الليبيين ثانية فجعل يستعد للطوارىء رغم ما كان يسود البلاد من هدوء ، ورغم أن بوادر الإضطراب لم تبدُ في أفق الامبراطورية المصرية ، فقد وقع فعلاً ما كان يحتاط له جلالته ، وخلاصة ذلك أن سكان الغرب الأقصى بدأوا بهجرة عظيمة ثانية الى غرب الدلتا ، ويرجع السبب في ذلك الى قوم يقال لهم

« المشواش Meshwesh » قطنوا الصحراء المجهولة الحد وتتشذر غربي بلاد الليبيين ، وقد ذكر « هيرودوت » هؤلاء القوم تحت إسم « ماكسيز Mexyes » وهم بلا جدل أصل البربر الذين استعمروا شمالي أفريقيا ، والمشواش قوم متمدينون نوعاً ، ماهرون في الفنون الحربية ، مسلحون جيداً ، قادرون على القيام بحركات هجومية ضد فرعون مصر ، وقد أخذت قبائلهم في هذا الوقت تتحد تحت سلطة أمير منهم ، فكونوا مملكة قوية طمحت نحو الاستعمار وكانت هذه المملكة المشواشية تبعد عن موطن فرعون مسيرة عشرة أيام غربي الدلتا ،

ولما كان الليبيون قد عرفوا بتمرة في السنة الخامسة من حكم « رمسيس الثالث » لم تعد لهم رغبة في غزو الدلتا ، ولكن المشواشيين غزوا بلادهم وأتلفوها ثم اضطروهم للاتحاد معهم في محاربة مصر ، بعد ذلك انضم الى هؤلاء الأعداء قوم آخرون ثم تولى قيادة الحملة المدعو « مششر Meshecher بن ملك المشواش « كبر Keper » وقد كان غرضهم الأول الهجرة والاستيطان بالدلتا ، وقد صمموا على العيش في مصر والاستيلاء على تلالها وسهولها ، فصاحوا بصوتٍ واحد « لنستوطن مصر » ثم عبروا الحدود المصرية في الشهر الثاني عشر من السنة الحادية عشرة من حكم « رمسيس الثالث » .

أخذ القوم يغزون مصر من الطريق الغربي كاحدث أيام منفتاح ، فحاصروا قلعة « هاتشو Hutsho » التي تبعد عن حدود الدلتا بنحو أحد عشر ميلاً وتقع بقرب ترعة « مياه رع » وفي تلك الجهة وتحت أسوار « قلعة « هاتشو » هجم « رمسيس الثالث » مع جيشه على أعدائه هجوماً عنيفاً ، وأخذت حامية القلعة المذكورة تمطر الاعداء في نفس الوقت بنار حامية ، حتى دخل رعب فرعون في قلوبهم ، وعجزوا عن المقاومة ، ودبّ الذعر بينهم فولوا هاربين لكن قلعة ثانية أمطرتهم ناراً حامية ، وقت هربهم ، فقضت عليهم بقسوة .

وبعد ذلك تعقبهم « رمسيس الثالث » بجيوشه لمسافة أحد عشر ميلاً من حدود الدلتا حتى تأكد من هروبهم تماماً من أرض مصر ، ثم استراح هناك في حصن يعرف بحصن « مدينة رمسيس الثالث » على « قمة جبل قرون السماء » .

وانتهت هذه المعركة بقتل « مششر Meshecher » قائد المشواشيين وأسر والده « كبر Keper » وقتل ما يبلغ ألفين ومائة وخمساً وسبعين نسمة . وأسر ما يبلغ ألفين واثنين وخمسين نسمة . بينهم نساء يزيد عددهم على رقم هذا المقدار ، واليك ما قاله رمسيس عن معاملته لهؤلاء الأسرى :

« لقد أعتقلت رؤساءهم في قلاعي بأسري ، ووسمت أولادهم ورؤساءهم الذين وهبتهم لتلك القلاع كعبيد بأسري ، وعاملت نساءهم وعيالهم نفس المعاملة » .

وبلغ عدد الأسرى المشواشيين الذين سُخروا عبيداً لخدمة قطيع المعبد المسمى « رمسيس الثالث المنتصر على المشواشيين بجوار مياه رع » الف نسمة تقريباً ، وقد اعتبر جلالته هذا النصر العظيم عيداً احتفل به سنوياً ، وسماه « عيد قتل المشواش » ولقد نعت جلالته نفسه بالألقاب الآتية « حامي مصر ، والمدافع عن الأقطار ، وغازي المشواشيين ، ومُتلف أرض التحنو » .

وهذه هي المرة الثالثة التي سُدّت فيها القبائل الغربية عن الدلتا . ولم يعد عند « رمسيس الثالث » مجال بعد ذلك للخوف من تلك الجهة . . إنما يلاحظ أن فكرة الاستعمار عند الليبيين لم تنعدم بالمرة ، والمعروف أن هؤلاء القوم لم تنعدم لهم كلية بعد ذلك ، ولكنهم أخذوا يهاجرون مسالمين الى القطر المصري ، كما فعلوا قبل حكم الأسرة ، وقد تموا بذلك تدريجياً ، وبنفر قليل لم يقلق فرعون مصر ، لكنه لم يقاومهم ، ولم يلق بالاً اليهم لما يعلمه عنهم من ضعف لا يقوون معه على القيام بأية حركة حربية ضده . .

واستمرت هجرة هؤلاء القوم المستضعفين حوالي مائتي عام تقريباً استطاعوا في خلال المدة الأخيرة منها ان يبسطوا نفوذهم على الوجه البحري . . وقد ساعدهم على ذلك زيادة الجنود الليبية المأجورة بالجيش المصري زيادة مطردة ، ولما كان جزء الجيش المعسكر بالدلتا لحفظ النظام هناك تحت ادارة رئيس كهنة آمون ، وتحت قيادة ضباط مشواشيين قابضين على قلاع تلك الجهة فقد قوي نفوذ المشواشيين هناك .

وحدث في عهد الأسرة الحادية والعشرين أن أحد الليبيين « التحنو » المدعو « بيراوا Buyuwawa » استوطن مدينة « إهناس Heracleomis » فرزق ولداً يدعى « موسن Mosen » عُيّن بعد ذلك في وظيفتي معبد إهناس وقائد حرس تلك المدينة . بعد ذلك صارت هاتان الوظيفتان وراثيتين مقصورتين على أفراد هذه الاسرة ، ثم رزق « موسن » بنجل يدعى « هَيْشُنُق Sheshonk » لُقب فيما بعد « برئيس المشواش الأعظم » وكان قوياً ثرياً حتى أنه لما توفي إبنه المدعو « ناملوت Namlot » دفنه بالبُراية باحتفال عظيم ، ووقف عليه خيرات كثيرة من أرض وحدائق وعبيد وخدم وقرابين يومية . بعد ذلك اتضح له حدوث تلاعب من الموكول اليهم الأشراف على إجراء هذه الخيرات ، فتوسط لدى ملك لا يزال مجهول الاسم من ملوك الأسرة الحادية والعشرين ليعاقب المهملين وليصدر بذلك أمراً من « آمون » بطيبة (٢٨) ويرجح كثيراً أن القواد الليبيين بالدلتا جروا على هذا المثال حتى أصبح لهم نفوذ كنفوذ هيشنق المذكور أو بعبارة أوضح حتى

استأثروا بالسلطة في أيديهم تدريجيًا ، وقد استمرّت الأسرة الحادية والعشرين والضعف المطرد مدة حكمها البالغة مائة وخمسين عامًا تقريبًا ، كانت خلالها ذرية « بيواوا » بمدينة « إهناس » تظهر وتعظم حتى تمكن أحد قرادها وهو « شيشنق » حفيد شيشنق سالف الذكر ، من قيادة أسرته الليبية ونشر نفوذها — على الأرجح — على الأراضي المجاورة الى قسم « منف » شمالاً ، وقسم « أسيوط » جنوبًا .. وفي عام ٩٤٥ ق . م تمكن رئيس هذه الأسرة من الاستيلاء على عرش مصر ، والتربع فيه بمدينة « تل بسطا » (٢٩) شرقي الدلتا .. ؟

واعتبر « مانيثون Manethon » (٣٠) « شيشنق » هذا مؤسسًا للاسرة الثانية والعشرين وهكذا تربع الليبيون على عرش مصر في غير حاجة لامتشاق الحسام ..

وبمجرد جلوس « شيشنق » على عرش مصر ، حصر هذا الشرف الرفيع في أفراد أسرته وذراريه ، وقد توصل الى ذلك بأن زوّج ابنه بابنة « بسيب خنو الثاني » آخر ملوك الاسرة الحادية والعشرين ، وبذلك منح إبنه حقًا شرعيًا في تولي العرش بعد وفاته ، وذلك من طريق زوجته الفرعونية والمعروف عن « شيشنق » هذا أنه كان حاكمًا قويًا شجاعًا ، نهض بمصر وعزم على استرجاع عزها القديم وعهدها الأول ، فبسط نفوذها على « فلسطين » وجعل سيادتها هناك فعلية بعد ما كانت إسمية فقط فقد غزاها في عام ٩٣٦ ق . م . واضمرت كلها تحت لوائه ..

وعاد شيشنق بعد الغزوة بغنائم ، فجدد بذلك عهد فراعنة مصر الأقدمين ، ونقش جلالته على جُدُر « الكرنك » بطيبة الجزية التي تقاضاها من « فلسطين والنوبة » — الخاضعتين له وقتئذ — بالقرب من نقوش ملوك مصر العظام ، ثم عين حاكمًا ليبيًا على الواحة الكبرى (٣١) وعهد الى أحد الرؤساء الليبيين في الاشراف على غربي الوجه البحري وطرق مواصلاته البرية الى الواحات ، ويعتبر هذا بدء ضم الواحات الى مصر بصفة دائمة .. وهكذا رجع لمصر لأمد قصير بعض مجدها الذي عرفته زمن الامبراطورية في عهد الأسرة التاسعة عشرة لما أخذت ترد على خزائنها جزية الأقاليم الواسعة الممتدة من شمال فلسطين الى أعالي النيل جنوبًا ومن الصحاري الغربية غربًا الى البحر الأحمر شرقًا ..

ولما انضمت الميزانية عهد شيشنق العمارات الشاهقة ، كما فعل فراعنة مصر الأقدمون منذ مائتي سنة تقريبًا ، فاختط « تل بسطة » واتخذه قاعدة لملكه ، وأوسع الكرنك بطيبة ، وكان له ابن يدعى « يوبت Yewepet » عينه رئيسًا لكهنة آمون بطيبة .

وفي عام ٩٢٠ ق . م . توفي « شيشنق الأول » وتولى بعده ابنه « أوسركن الأول »

Osorkon » زوج ابنة الملك « بسيب خنو » وكان اعتلاء هذا الملك للعرش مطابقاً للتقاليد والعادات المتبعة ، وقد حكم « أوسركن الأول » حتى عام ٨٩٥ ق . م . وتوفى خلفه عدة ملوك آخرين ، ولا جدال في أن هؤلاء الحكام الليبيين قد تطبعوا تماما بالطباع المصرية ، فقد « شيشنق الأول » دفن ابنه في « العرابة » واتبع العادات المصرية نحو الموتى ، فوقف على قبر ولده الخيرات على وفق ما تقتضيه طقوس الديانة المصرية .

وبالرغم من احتفاظ الضباط الليبيين بأسمائهم الأصلية ، فإنهم حافظوا على الأسماء والعادات الفرعونية التي ألفها المصريون لمدة تقرب من ألف وخمسمائة عام كما أنهم عبدوا المعبودات المصرية ، وقدموا لها القرابين كالمصريين ، وذلك رغم أنهم من البربر ، وأنهم شديدو المخالفة للمصريين .. !!

ولقد وردت عبارات مختصرة مدونة بين ما نقشه رئيس كهنة آمون ، على جُدُر معبد الكرنك ، تشير الى أن حكم الملوك الليبيين الثلاثة الأخيرين في « تل بسطة » كان مشحوناً بالانقلابات والاضطرابات مدة مائة سنة تقريباً .. وقد هشّم هؤلاء الملوك آثار مصر العظيمة بقسوة عديدة ، فحطم شيشنق الثالث تمثال « رمسيس الثاني » الضخم الذي كان « بتنيس » واستعمل أجزاءه لتشييد صرحه العظيم « بتنيس » أيضاً .. !!

وانتهت مدة حكم الليبيين حوالي عام ٧١٢ ق . م . بخضوع مصر للملك أثيوبيا الذين ابتدأوا باستلام الحكم من أيدي الليبيين خلال الأسرة الثالثة والعشرين عام ٧١٨ ق . م . ولكنه لم يُنتزع تماماً إلاّ في عام ٧١٢ ق . م بزوال الأسرة الرابعة والعشرين التي دامت مدتها حوالي ست سنوات ، وبذلك تكون سلطتهم ظلت مبسوطة على مصر مدة ٢٣٣ سنة تقريباً .. !!

ومنذ هذا العهد .. — عهد الليبيين — صارت صحراء مريوط والصحراء الغربية الشمالية والجنوبية تابعة لمصر يرثها من يرث عرش النيل على مر العصور . !!

***

وفي عام ٣٣١ ق . م . شقت جحافل الاسكندر المقدوني منطقة مريوط في طريقها الى « فرطنيوم » (٣٢) حيث بدأت رحلتها عبر الصحراء .. وعلى رأسها الملك العظيم قاصداً معبد الآلـه الأقدس آمون الرابض تحت ظلال النخيل في واحة سيوة (٣٣)

على أن الصحراء في ذلك الحين لم تكن آهلة بالسكان إلاّ الى حدّ محدود فقد أبيح لهم التدوّ والرواح بين وادي النيل والصحراء ، فضلوا الاقامة بالوادي أو على مقربة منه حتى يتمكنوا من الحصول على عيشة أرغد مما يجدون في ربوع الصحراء التي تلفحهم بحرورها

صيفاً . ولكن يد الزمان جُبلت على التغيير والتبديل ، ولقد كان من جراء هذه الحالة الأزلية أن تبدل حال الصحراء فعمرها الناس واكتظت بالسكان ، وذلك عندما لوّح قياصرة الروم المصريين بمشعل الدعاية المسيحية . . اذ ما كادوا يفعلون ذلك حتى هبّ القوم مستنكرين ما جاء السادة يحملونه إليهم ، واستبشعوا أن يتركوا وثنيتهم التي يتمسكون بها بشدة ، ولهم فيها عقيدة صلبة لا تلين مهما قاساهم . . فانهم ليتعبدون بعبادة أوثانهم ، ويتفانون كل عقيدة سواها . وانهم ليرون في كل ما عدا دينهم بدعة وضلالاً . فليس من السهل إذن أن يتركوا عقيدتهم إجابة لرغبة الفئة الحاكمة ، وإذعاناً لإرادة قيصر . لذا فقد هبّ صراع عنيف بين الوثنية المصرية ، والمسيحية الرومية كان من جرائه أن فرّ المصريون بدينهم الى الصحراء ، ولاذوا بها هروباً من تعسف الرومان الذين نسوا أن العقيدة لا تحارب . . وانه استوطنوا المنطقة الساحلية حيث الأمطار تهطل بغزارة والأرض وافرة الخصوبة ، فابتنوا المدائن وحفروا الآبار التي ينتفعون بها صيفاً . وغرسوا البساتين ويُحتمل أن يكون التجاؤهم الى الساحل هو أول ما دار بخلد من وكنوا الى الهجرة منهم . . اذ أقاموا بين البدو القاطنين فيه . على أن التعسف قد اقتفاهم فرحل كثيرون منهم الى الواحات ليعتصموا بها من يد طالبيهم . .

وسواء أكان هذا أم ذاك ، فقد اكتظت المنطقة الساحلية بالسكان مما جعلها تعمر وتزدهر طيلة القرن الأول الميلادي ، حتى أن الأقاليم العامرة الآهلة بالسكان والزراعة ، كانت تنتهي حيث يبدأ إقليم « فورينا » (٣٤) ولم يكن ليفصل بين الإقليمين مفازة من أرض كما هو الآن . ولقد تردد في كتب « بطليموس » (٣٥) و « استرابو » (٣٦) أسماء مدن كثيرة كانت منتشرة في ليبيا ، وجاء في كتاب « المسعودي » (٣٧) أن إقليم ليبيا كان يحتوي على أربع وعشرين مدينة ، ما عدا القرى الصغيرة . . ويقول « المقريزي » : ان ساحل البحر من مدينة الاسكندرية حتى حدود « برقة » (٣٨) غرباً كان مليئاً بالحدائق التي تنتج أطيب الثمر . . !!

وظل المهاجرون اللاجئون بوثنيتهم الى الصحراء يقيمون في تلك المدائن (٣٩) الى أن ابتدأ القرن الميلادي الثاني ، وأخذ الناس يدخلون في دين المسيح طواعية واختياراً ، وقل الاضطهاد ، فنزح من بالصحراء الى الوادي ، اللهم إلا من رغب في حياة القداسة والرهبانية ، والذين لم يصل دين المسيح الى قلوبهم .

وفي أواخر القرن الثالث الميلادي عاود القوم الهجرة الى الصحراء ثانية فراراً من وجه « دقلديانوس » امبراطور الروم الذي ثار على المسيحية وأبنائها ، وأمر بذبح كل من يعتنق

ديانة المسيح لارتداده الى الوثنيـة ، فكانت النتيجة لهـذا الاضطهاد أن فرَّ مسيحيون مصريون ورومانيون الى الصحراء والواحات حيث أقاموا المعابد والكنائس التي لا تزال آثارها باقية في بقاع كثيرة حتى الآن . .

ولم يكد الحال يستقرّ بعد ذلك بين الحاكم والمحكوم حتى هبت نار الاضطهاد ثانية أشد مما كانت عليه في عهد الصراع بين الوثنية المصرية والمسيحية الرومية في القرن الأول الميلادي . . إذ كانت علة العلل في ذلك هي تلك العـداوة القائمة بين « الملكانية » و « المنوفيسية » وكانت الطائفة الأولى كما يدل عليه اسمها ، حزب مذهب الدولة والامبراطورية وحزب الملك والبلاط وكانت تعتنق العقيـدة السنية ، وهي ازدواج طبيعة المسيح ، في حين أن الطائفة الأخرى وهي حزب « القبط المنوفيسيين أو اليعاقبة » أهل مصر كانت تـتبع تلك العقيدة وتستعظمها ، وتحاربها حرباً عنيفة في حماسة هوجاء .

واشتد الخلاف بين الطائفتين حين تولى الامبراطور « فوكاس » الذي صار على سُنة القضاء على مذهب « اليعاقبـة » في مصر قضاءً مبرماً ، لا هوادة فيـه ولا رحمة ، إذ بلغ الاضطهاد والتعسف أقصى ما يمكن أن يصلا إليه ، وكان اليعاقبة لا يرضون إلاّ أن يمحوا كل أثر من آثار مذهب « الملكانية » ولكن أنى للمحكوم أن يقف في وجه حاكمه منابذاً مقاوماً ؟؟ لذا اضطر القبط أمام ما كان ينزله بهم الروم من تعسف أن يعاودوا الهجرة الى الصحراء فيقيموا بها بعجاة من الظلم والاستبداد ، وقد اتخذوا منها معقلاً يقيهم ظلم « فوكاس » الذي لم يكف عن إيذائهم حتى ثار « هرقل » من « قورينا » وسار الى « القسطنطينية » حيث اسقط « فوكاس » عن العرش وتبوأ مكانه . . ثم جاء الفرس وانتزعوا مصر من يد هرقل ، وسار الجيش الفارسي في الصحراء لاول مرة ، وكانت وجهته بنطابوليس (٤٠) التي كانت ذات مكانة عظيمة وقتذاك ، وبقي الفرس سادة البـلاد عشر أو إثنى عشرة سنة . . ولعلهم قضوا ثلاث سنوات يمهدون لسلطانهم في طول البلاد وعرضها بين « مصر وبُنطابوليس » ، ثم قويت عزيمة « هرقل » بعد هـذه السنوات العشر ، فطرد الفرس عن كل أملاك الامبراطورية ، وبينها مصر . . ثم لاح له بعد أن وضعت الحرب أوزارها أن يوحد المبادىء المسيحية ، بعدما رأى ما كان من نتائج الخلاف المذهبي من إضعاف الامبراطورية وتفكك كتلتها ، ذلك الخلاف الذي قام أبد الدهر بين أبناء الدين الواحد ، لذلك رأى هرقل أن ينشيء مبدءا جديداً ، ثم أراد حمل الناس على اعتناقه واتباعه والعمل به ، ولكن قبط مصر كانوا يرون فيه بدعة لا نهاية لها إلاّ الضلال ورأوا في اتباعه كفراً وخروجاً على ديانة المسيح لذلك لم يرضوا به بل رغبوا عنه في مبدئهم الأول .

وأصرّ الإمبراطور على إرغامهم إلا أنهم لم يخفقوا بإرادته ، بل ثبتوا عند رأيهم ، فخيرهم « ولاة هرقل » بين اتباع المذهب الجديد وبين الجلد فالموت . . !! فكانوا يفضلون الاستشهاد في سبيل ما يرونه حقّاً على العيش في ظل الباطل . . وعلى هذه الحال من الاضطهاد عاشت البلاد عشر سنين طوال عاود معها الأهلون الهجرة الى الصحراء .

ولقد كانت « مريوط » طيلة الحكم الروماني أزهر وأعمر من شق الصحراء الغربي وليس أدل على ذلك من أن تحمل الحكومة التي كانت قائمة وقتذاك منطقة « مريوط » وحدها جملة ربط الخراج الذي كان مفروضاً على الصحراء كلها وكانت المجوية تدفع نصفها مالاً والنصف الآخر نبيذاً مما يستخرج من كروم العنب التي كانت قائمة بسهول مريوط . . !!

* * *

ولم يكد نور الاسلام يشرق على الشمال الافريقي بفتح « عمرو بن العاص » لمصر . ولم يكد القائد العربي ينتهي من بسط نفوذه على الوادي ونشر لواء الاسلام تحت سمائه حتى أرسل « ابن عبدالله الحكمي » لفتح مدائن مريوط . فتم له ذلك على أيسر وجه . .

وفي نهاية القرن الثالث الهجري بدأ الاضمحلال يدب في طول الصحراء وعرضها . وقد شمل مريوط أيضاً فأهملت مدائنها حتى اندثرت ، وآبارها حتى غاض الكثير منها ، ورحل عنها من كان قد هاجر اليها ، ولم يبق بها الا بقية من البدو الرحّل الذين لا يرتضون بالصحراء وعيشها بديلاً ، وهم الذين يعرفون الآن باسم قبائل « أولاد علي » .

أما ما هو السبب في إطلاق اسم « أولاد علي » على سكان الصحراء الغربية ؟ فهذا ما نريد أن نجلوه في هذه السطور مما استقيناه من روايات مشايخ العربان المقيمين الآن بالصحراء ، إذ ما زال الجميع يرددون « انه عندما مرت قبيلة بني هلال بالصحراء الغربية حوالي القرن الخامس الهجري في طريقها الى بلاد المغرب « لفتح القيروان » سقط « الزناتي خليفة » تركت في عرض الصحراء . إحدى بناتها لأنها حملت سفاحاً ، وتركت معها بعض المال والعبيد ، وكانت تدعى « سُعدَى الهلالية » فوضعت ولداً ذكراً أسمته « حركات » ثم قذف البحر بأحد اليونانيين من صائدي الاسفنج ، غرق مركبه ، وهلك من معه من رفاق ، وما أن رأته « سُعدى » حتى اضطرته على اعتناق الاسلام ، ثم تزوجت منه ، وقد أنجبا ثلاثة أولادهم « علي » و « هنداوي » و « برغوث » .

من هذا يتبين لنا أن « سعدى » قد تركها أهلها في ضواحي برقى مطروح إذ الاسفنج يكثر في منطقتها البحرية ، واليونانيون يجدّون في طلبه من هذه المنطقة

ومات الأبوان ، وتركا الأخوة الأربعة ذوي ثروة ، ولكنهم كانوا صغاراً .

وكان البدو المقيمون حولهم يعدون أن أجدادهم « بنو هلال » ولما كان « لبني هلال » مكانة ملحوظة في نفوس الأعراب ، فقد تقدمت أربع قبائل ، وتبنت كل قبيلة واحداً من الأخوة الأربعة متطلعة إلى أن كل منهم جزءاً من نتاج أغنامها وجمالها وأراضيها ، ضيفين ذلك كله لثروته التي ورثها من وراء أمه . وهكذا فإن الخراج يضاف لثروة كل واحد منهم حتى إذا ما شبوا في ثروة طائلة نصّبت كل قبيلة فتاها زعيماً عليها .

ولكن « حرباً » لم يرض بهذه الزعامة الصغيرة ، ولم يقنع بهذا العدد القليل من الأتباع ، بل طمع في الزعامة المطلقة ، فما كاد أخوته الآخرون يطالعون على عزمه ، حتى أخذوا — متحدين — في مطاردته هو وأتباعه ، وأجبروهم على الرحيل ، فساروا الى « الجبل الأخضر » في « برقة » فأقام فيه « حرب » بمن معه من أتباع . ولا يزال « بنو حرب » الى الآن في موطنهم الذي نزح اليه جدهم الكبير .

وبرت سنون كان « علي » خلالها قد ضمّ إليه أخاه « هنداوي » واتحد الاثنان وطاردا أخاهما « برغوثاً » حتى رحل هو أيضاً الى « طرابلس » ثم قوي « علي » وأراد أن يبسط نفوذه على « هنداوي » وقبيلته . وكان أن نشبت الحرب فيما بينهما ، إلا أن « علياً » استطاع أن يجلي « هنداوي » وقبيلته عن الصحراء فألزمهم حدود وادي النيل في صحراء الصعيد . وهم العرب « الهنادي » .

وبرت سنون أخريات فإذا أولاد « علي » ينشقون على أنفسهم فانقسموا قسمين :

١ — علي الأحمر : وهؤلاء اتخذوا موطنهم في الصحراء بالمنطقة الواقعة بين الضبعة والعلوم . ويقولون « علي الحَمَر » بفتح الحاء والميم ، وقد عُرفوا بالأحمر لحمائهم .

٢ — علي الأبيض : وهؤلاء استقروا في مريوط وغربي مديرية البحيرة ورمل الاسكندرية ، على أن تطورات الزمن جعلت بعض هؤلاء يرحلون الى جوار أولئك وبالعكس

وينقسم البدو عامة قسمين من حيث كيانهم الاجتماعي :

١ — مرابطون ٢ — صعاوى .

١ — أما المرابطون : فهم أولو الفضل أو البركة المسالمون أو خدامهم وهؤلاء مكان ملحوظ في نفوس الناس لا يتعلق على شيء أو فقر الواحد منهم وإنما يُجلّون أينما حلوا ولا يُهان واحد منهم وإن بدأ هو بالإساءة ، وكثيراً ما يقوم المرابطون هؤلاء بحل المشكلات والصلح بين العرب ، وحكمهم نافذ على كل بدوي وليس لأحد أن يخالف إرادتهم مطلقاً ولو على رغمه ، وعدتهم في ذلك أن يُخيّر المرابط من احتكموا إليه : هل يريدون فاتحة

خير أو فاتحة شر ؛ فإن قبلوا حكّموه قرأ لهم الفاتحة ودعى لهم بالخير وإلا عكس الآية وفي ذلك ما يخشاه العرب .

وإلى رحاب هؤلاء المرابطين يلجأ كل ذي حاجة فمن طالب زواج ممن لا يرتضونه فيستعين بأحد المرابطين عليهم . الى عارية من زيجة يرضاها عليها آلها . . وغير ذلك من حاجات البدو التي لا تنتهي .

٢ — أما السعادى : فهم شُطّار كسو العرب الذين لا ينتمون لأحد من المرابطين وليس في أجدادهم أحد من أصحاب الفضل والبركة وهؤلاء لا يُعمل حساب الواحد منهم إلا إذا كان قوي الشكيمة ذا بطش وقوة ، إذ لا يخاف أحد البدو عاقبة الإساءة اليه .

قبائل مربوط

أما القبائل التي تعيش في مربوط فأهمها :

(١) الساجرة : وتعتبر أقوى قبائل مربوط شوكة وأكثرها عدداً وأصعبها مراساً وتمتد مضاربها من مرمى مطروح الى كفر الدوار وحوض عيسى (٢) العقاري : وتلي قبيلة « الساجرة » في الشوكة وهما دائماً في تنازع لا يحد من تفاقه إلا قسوة عقوبات قانون العرب العرفي وكثرة الغرامات التي تنصب على كاهل الطرفين المختصمين . . وهي من برج العرب الى « العلمين » (٣) الطوارة : وهؤلاء من المرابطين ، ولهم مكان ملحوظ في نفوس جيرانهم ، وهم من « سيدي كرير » الى « برج العرب » (٤) العوافير (٥) القطمان (٦) القنيفات (٧) الفناوير (٨) المسون (٩) عائلة ابراهيم .

وليس كل المقيمين « بمربوط » من البدو الأصليين ، كلا فإن نظام « الزالة » معترف به عند العرب فكل غريب ينزل بجوار قبيلة له أن يكتب نفسه وعائلته ضمن أفرادها ، ويكون محسوباً عليها . . له ما لهم وعليه ما عليهم يغزون لنصرته ، ويذود معهم عن حقوقهم التي تعتبر حقوقه هو أيضاً . . يدافعون عنه إذا ما اعتدى عليه معتد . . واذا ما أساء هو لأحد أفراد العائلة التي هو نزيل عليها ، فإن أكرم أخلاق العرب وأصحها عند ما يعفون عن خطئه فلا يأخذونه به لأنه غريب لا شوكة له إلا بهم . . !!

٦ — نظرة عامة

فيما تتطلبه الصحراء والواحات من إصلاح

أرى أن نُجمل في هذه السطور التالية ما الصحراء عامة والواحات في حاجة إليه من إصلاح حتى يمكن استغلالها على الوجه الأكمل لتأتي بما هُيئت له من خير فتعود على أهليها وبلاد القطر بالنفع الكبير خصوصاً وأن مجال الاستغلال الزراعي آخذ في الضيق بالنسبة لقلة الأراضي التي تضاف المساحة التي تزرع في الوادي من عهد بعيد مع إطراد زيادة عدد السكان فإن لم نبادر بالقيام بعمل حاسم فإن العقبى لن تحصد وليس لنا من مجال نتنفس فيه غير الصحراء بأراضيها الخصبة المهملة التي يمكن اذا ظفرت بقليل من العناية .. أن تضيف الى مساحة الأراضي الزراعية بالوادي مثلها والى الانتاج الزراعي والحيواني أضعافه وتعود الى البلاد حالة الرخاء واليسر الآخذة في الزوال شيئاً فشيئاً .

أما هذه الاصلاحات فيمكن تلخيصها في النقط الآتية :

أولاً — ﴿ الماء والزراعة ﴾

١ — المنطقة الساحلية

١ — ﴿ تحسين وسائل الري والزراعة ﴾ سبق أن عمنا أن الري يعتمد في المنطقة الساحلية على موردين من الماء هما :

أولاً : السيول : ولا أقول الأمطار .. وإن كان زيدٌ هو ابن عمرو .. وعمرو هو أبا زيد .. ولا يمكن لزيد أن يجيء الى الدنيا إلاّ من طريق عمرو .. !!

فالسبب في تواجد السيول بطبيعة الحال هي الأمطار .. ولكن . ليست كل نقطة مطر تحدث سيلاً .. بل لا بدّ لذلك من سقوط أمطار غزيرة :

والأمطار تسقط عادة فيما تسقط على حزون الصحاري ، ومهرها .. بنسبة واحدة ولا يمكننا أن نحدث ريًّا إلاّ إذا تحدرت من فرق الهضاب ، والتلال ، واتخذت طريقها في أخاديدها التي تحفرها لنفسها بنفسها ، أو يحفرها لها الأهلون في منابع السيول

ومنحدرات التلال .. نحو السهل المنخفض .. متجمعة هيناً فشيئاً حتى يتكون منها ما يمكن أن يُحدث الري .. ألا وهو السيل .. !!

وكما خلق الله الوديان العظيمة لتواصل الأرجاء .. وأجرى فيها الأنهار .. لتسقط الصحاري بسهولها الصغيرة ، وأوجد لها الهضاب والتلال ، لكي تقوم منها مقام النهر في الوادي الكبير ..

فالتل .. أو الهضبة .. أو المرتفع أيّاً كان نوعه .. مقامه من السهل الذي يجاورة مقام المروي من الحقل ، إذ أنه هو الذي يمده بالسيل الذي يروي زرعه وينبت فيه الكلأ .. لذا فإن لكل جبل أو تل حوضاً يرويه كما لكل نهر أو مروى حوضه الذي يرويه ، وينفيض عليه من مائه ، وكل مالك أو منتفع بالسهل المجاور للجبل له الحق كل الحق في الانتفاع بالمنحدرات المجاورة لأرضه وفي اتجاهها ..

وذرى التلال .. وقمم الجبال هي الحدود الفواصل بين حق انتفاع المنتفعين بها عن يمين وعن شمال ، ولا يمكن لأحد أن يتحايل على حق الآخر حقه من الماء إن أمكن التحايل ..

مما تقدم يتضح لنا انه لا بدّ لكل مساحة مزروعة في المنطقة الساحلية .لا بد لها من مسطح واسع يظل غير مزروع لكي يمدها بالسيل المتجمعة مما يسقط عليه من أمطار . أما تقدير هاتين المساحتين بالنسبة لبعضهما ، فقد أرى أنه سيكون ضرباً من التخمين إلاّ إذا أجريت تجربة دقيقة تستغرق زمناً طويلاً حتى يمكن الجزم بما يحتاج الفدان المزروع من مسطحات التلال المجاورة لكي يُروى ريّاً جيداً في موسم الأمطار .

وإني لأرى ضرورة قيام بعض ذوي الخبرة بإجراء هذه التجربة .. كما أرى الانتفاع بالوديان الكبيرة ، كوادي التمر ، الذي يقع على مسيرة خمسة عشر كيلومتراً غربي مدينة مرسى مطروح في مد الأراضي المحيطة بالمدينة بالماء العذب صيفاً لإمكان زراعة بعض الخضروات والحدائق وذلك بقيام سد في شمال الوادي ليحول دون ذهاب مياه السيول الكثيرة في البحر هباءً وبغير فائدة تجتنى من ورائها كما أجرى في صحراء سيناء .. إذ أقيم سد الروفعة في الأيام الأخيرة .. !! وبذا لا تعتمد المدينة على ما يرد اليها من الاسكندرية أو يقتصر استهلاكها على ما يجلب بالطريقة المعطلة دون غيره .

(ثانياً) — آبار الثوالي أو آبار تحت التربة : يجب حفر الآبار القديمة الموجودة بالصحراء لإمكان الري صيفاً اذا اضطر الأمر إليه ..

في المنطقة الساحلية آبار كثيرة منها المستعمل حتى الآن ومنها الذي جرت عليه يد الزمان بالدمار فطمر وبقيت بعض آثاره تدل عليه . ومن أهم هذه الآثار التي تُستخدم دليلاً

على وجود بئر قديم :

١ — الكروم : وهي التلال الصغيرة . خصوصاً اذا جاورت أرضاً مستوية عليها أو حولها ما يشبه بقايا الأسوار من أحجار منظومة في أطوال مختلفة بعض الشيء متصلة بعضها ببياج من نباتات العنصل الذي يظهر بشكل واضح أثناء موسم الأمطار . فالاعتقاد السائد أن القدماء كانوا يستعملون العنصل في حفظ حدود أراضيهم الزراعية . ووجود الكروم بجوار السهل الصغير المنبسط المصوَّر دليل على أن هذا ركام بيت — اذا وُجِدت به الأحجار المربوعة المسواة (قنطاري) — وإذا كان التل خالياً من الأحجار فهو مخلفات حفر البئر . وفي مثل هذه الأماكن يبحثون عن الآبار القديمة

٢ — العوسج : فشجيراته المعمرة إذا ظلت مخضوضرة خلال الصيف غير بادية التأثر بالجفاف الذي أفعل المنطقة جميعها استدلوا بها على وجود بئر تحتها خصوصاً اذا كان حولها بعض من الأحجار ؛ إذ أن جذورها تذهب في جوف البئر المطمورة لأنها تكون أكثر رطوبة من غيرها مما جاورها من الأرض .

فللقديم من هذه الآبار روافد ممتدة في باطن الطبقة الصخرية التي تلي الطبقة العليا ، منحوتة في جوفها ، وقد تذهب هذه الروافد الى مسافات بعيدة كما هو الحال في آبار العامرية ومرمى مطروح . وهذه (الجيوب) الجانبية هي التي تمد البئر بالماء العذب طوال العام .

ولكي يظل البئر عذب الماء صالحاً للشرب ولري الزراعة يجب ألا يزيد الحفر عن ذراع ونصف ذراع بعد ظهور الماء حتى تظل موارده قاصرة على الطبقة التي تحتوي مياه الرشح ثم يُمتد في حفر الروافد الجانبية ، أو الجيوب — كما يسمونها — على نفس المستوى

ويمكن للبئر ذات الجيب الواحد أن تمد ساقية تدار بصفة مستديمة دون أن ينضب منها الماء أو تتغير عذوبته .

ولرفع ماء هذه الآبار بالماكينات يجب الا تركب عليها الماكينات الثابتة بل تستعمل في رفع مائها الماكينات المتنقلة الصغيرة حتى اذا ما نضب ماء بئر انتقلت الى غيرها على أنه يجب ألا تُبذل أية محاولة في جهر البئر واختراق الطبقة الصخرية التي تلي الأسفنجة المشتملة على ماء الرشح حتى لا تصل الى مستوى البحر فيصير الماء مالحاً غير صالح .

وتختلف أعماق هذه الآبار بين ٩ أمتار وسبعة وعشرين متراً . فكلما قربنا من الساحل قلَّ العمق وكلما بعدنا عنه موغلين في الصحراء زاد العمق . ويتبع ذلك بطبيعة الحال قلة التكاليف حال الانشاء وكثرتها .

على أنني استطعت حفر بئر جديدة عمقها إثنى عشر متراً ومستوى مائها العليا ١٥٠ سم .

بخمسة رجال في خمسة وأربعين يوماً . وكان أجر الرجل عشرين قرشاً في اليوم فتكون جملة التكاليف لإخراج البئر ٤٥ جنيهاً عدا مصاريف بناء الجزء الأعلى منه . . ولكن الأهالي يحفرون بتكاليف أقل بالنسبة لقلة الأجور التي يدفعونها فيما بينهم

ويجب عدم الاعتماد على الأمطار والسيول كمصدر لمياه الري ، بل يجب مد الترعة النوبارية الى أكبر مسافة ممكنة في جوف الصحراء ، ليمكن استغلال الأراضي الزراعية المحصبة بزراعة الفواكه والمحاصيل ذات النفع القيِّم ، ولعلَّ أكبر دليل نقيمه على صلاحية هذه المناطق لأي استغلال زراعي ما صادفته شركة جناكليس من نجاح لما توافر لمائها الري بالترعة المذكورة وكيف أن الفدان الواحد من زراعات العنب يغل ما يزيد عن المائة جنيه في العام . . ولعلَّ أكبر فرية افتراها أجنبي في مصر هي تلك الدعاية الواسعة النطاق التي تقوم بها شركة جناكليس رغم ما تلاقيه من نجاح ورعاية رجال وزارة الزراعة لها . . هذه الفرية التي أملاها عليهم شعورهم بتنبه الأذهان المصرية لاستغلال أراضي الصحراء بزراعات العنب والزيتون لما لمس المواطنون ما يعود على الشركة من ربح وما ينعمون فيه من عيش رغيد لم يحلم به أبناء النيل في أرض النيل . . هذه الفرية التي تتلخص في أن أرض الصحراء لا تصلح لزراعة العنب إذ أن الأشجار تشل ولا تنجح إلاَّ الى أجل قصير لذا فانهم سيقتلعون ما زرعوه بالأمس . . ومن الغريب أن هذه الدعاية التي لا أعتبرها إلاَّ تعمية لأبصار المصريين الذين فكروا في السير على نهجهم حتى لا يجدَ لهم مزاحمون في الأسواق الداخلية والخارجية قد وجدت من يصدقها . . وبالرغم من أنهم جادون في تشريفهم هذه فانهم ما زالوا يزرعون ولم يقتلعوا شجرة واحدة من شجيرات العنب . . العنب الذي قل فرونا يعطي أحسن نتاج ويكفي أن علمنا فيما تقدم ذكره أن رومانكانت تفتخر بأجود أنواع النبيذ من كروم مريوط . . أبان حكم الرومان لمصر . .

ولريب قائل أن مد الترعة الى جوف الصحراء يصادفه صعوبات كثيرة ، أهمها أن مستوى سطح الأرض ليس مستوياً في كل المناطق . . ولكن ذلك لا يقف أمامنا كعقبة في سبيل تنفيذ هذا المشروع فيمكن التحايل على رفع الماء الى المناطق المرتفعة المنسوب بواسطة الطلمبات التي تقام عند نهاية الترعة في أول كل منسوب ، فكل صادف سير الترعة مرتفع يتعذر التغلب عليه ذلناه بطلمبة رافعة . ومن مرتفع الى مرتفع حتى نبلغ الغاية ، ونشرف على القصد الذي أهدفنا اليه . . !!

الري . . !!

أما وقد عرفنا الموارد المائية التي بالصحراء والتي يجب أن تتوفر في المنطقة الساحلية ،

فيمكننا والحالة هذه أن نتحدّث عن طرق الري فيها في المناطق التي تعتمد اعتمادة على مياه الأمطار . ولكي نتمكن من الوصول الى حقيقة مقنعة سنتخذ ما قمت به من ابحاث في منطقة برج العرب كأساس لدراسة الري الواجب اتباعه في هذه البقاع الساحلية .

أولاً : الري شتاء

وخليق بنا بعد أن تبين لنا أن السيول هي المورد الأهم لمياه الري في الصحراء الشمالية أن نعتبر فصل الزراعة فيها هو فصل الشتاء ، وأن نعني بدراسة الري فيه . إذ أن حاصلاته هي ما يعوّل عليه الأهلون.

ا — ري الزراعات الحولية

وأهم هذه الحاصلات هو الشعير إذ هو عماد الثروة الزراعية في أغلب هذه المنطقة خصوصاً في ناحية سيدي براني والسلوم ، فالجميع يزاولون زراعته لأنه قوام حياتهم المعيشية ، فمن أتاه ربه محصولاً وفيراً منه فهو في اطمئنان ويسر . ومن لم يعطه فله الشقاء طوال العام.

والشعير لا يكلف جهداً في ريه . إذ بعد سقوط الأمطار أول مرة في أواخر أكتوبر أو أوائل نوفمبر ، ينثرون الحب ، ويحرثون الأرض ، ثم يتركون الزراعة بعد ذلك لما تفيض به السماء من صيب غيثها حتى يحين الحصاد .

على أن أغلب البدو وزراع الشعير خاصة لا يأمنون للزراعة عقب المطرة الأولى إذا جاءت مبكرة في أواخر أكتوبر إذ يخشون أن يطول المدى بينها وبين المطرة الثانية فتصادف عوامل الجفاف البواكير الصغيرة فتموت .

ويستطيع البدوي أن يتنبأ بما سوف يكون عليه موسم الأمطار من قلة أو غزارة . وهل سيكون مبكراً أو متأخراً . وأهم العلامات التي يستنجون اليها في تنبؤاتهم هي هجرة الطير من الشمال الى الجنوب ففي أواخر الصيف تبدأ الطيور بالهجرة من الساحل الأوربي الى الساحل الأفريقي . فان بكرت بتواقدها على الساحل المصري كان موسم الأمطار مبكراً . وإن جاءت بكثرة كانت أمطار الموسم غزيرة ، والعكس بالعكس .

وإنهم ليستبشرون خيراً إذا سقطت الأمطار موزعة بحساب كل شهر من أشهر الموسم مطرة غزيرة . أي في نوفمبر مطرة ومثلها في ديسمبر ، وأخرى في يناير ، ورابعة في فبراير ، وخامسة في مارس .

وإنهم ليحسبون حساب المطرة الأخيرة التي يرجونها في مارس ويعلقون عليها أهمية كبرى بالنسبة للمحصول ، إذ هي التي تقدم وتؤخر .. لذا فهم يقولون في أمثالهم المأثورة «إن

كان زرعك عطيب وراه مارس ، وان كان زرعك ساباو وراه مارس ؟

أي أن أمطار مارس هي القول الفصل في شأن المحصول فان جاءت غزيرة أفادت الزروع المتأخرة الصنفة وألحقتها بالمبكرة القوية ، وان لم تأت فلا خير يرجى من وراء زرع مبكر أو زرع متأخر

ومن هذا نجد أن الشعير في حاجة لخمس أو ست ريات طوال حياته .

على أن غزارة الأمطار في شهر ديسمبر بالنسبة للزراعات المتأخرة كقلتها في شهر مارس بالنسبة للمحصول ، إن كانت الزراعة في البقاع المنخفضة المستوى ، فاذا تراكمت المياه في هتين الفترتين فوق النباتات الصغيرة الغضة وأدركتها برودة الليل .. فانها تودي بالزراعة ، وربما قضت عليها قضاء مبرماً .

وتخف هذه الكارثة بعض الشيء إذا ما أدركتهم في شهر ديسمبر إذ يتمكنون من إعادة زراعة الأرض ، ولكنهم على أي حال لا يفيدون من ورائها شيئاً يذكر

وما يسري على الشعير يمكن أن يسري على بقية المحصولات الطويلة الأخرى التي تزرع في الشتاء .. الا ولذا أرى ضرورة استغلال المناطق المنخفضة بزراعة الحدائق إذ أنها أكثر احتمالاً ..

ب — ري الحدائق

ولعل الزائر لمنطقة برج العرب يلمس اختلافاً بيناً ، وفارقاً كبيراً بين حدائق الأهالي ومزرعة البساتين .

فحدائق الأهالي ذات أشجار قوية نامية نماء حسناً ، بالرغم من أنها لا تجد من الخدمة والعناية ما تجده الأشجار التي في مزرعة البساتين .. ولو ان المسألة كانت عكسية لما كان هنالك ما يستلفت النظر ، أو يوجب الاستغراب والدهشة .. إذ المفروض أن مزرعة البساتين مزرعة نموذجية تجد كفايتها من العناية التي لا يستطيع ذلك البدوي .. الذي لا يملك دابة تجر له عرباته ولا جلد له على العمل — بذلها نحو أشجار حديقته ..

ولكننا لو دققنا في الأمر قليلا لوجدنا أن عدم مقدرة ذلك الاعرابي وعجزه ، قد أفاداه من حيث لا يدري . وكما أفاد الاعرابي الكسول من خموله وعجزه جني قسم البساتين من وراء مقدرته واعتماده على القوى الآلية الضر والخسران .

أما كيف أفاد العجز البدوي وخذلت القوة والمقدرة (قسم البساتين) فهذا ما أحب أن أعرضه — كما أرى — لعل لأحد فيه رأياً .

فما لوحظ أن قسم البساتين أول ما قصد إليه هذه المناطق للزراعة فيها عام ١٩١٨ لم يكن قد وضع سياسة مرسومة للسير عليها وإنما جاء كل شيء اجتهاداً ، لذا فلم يبن أهمية كبرى على أهم مصادر الري في هذه البقاع الصحصحة المراس ، معتمداً — إلى حد كبير — على القوة الآلية وما يمكن أن يستخرجه بواسطتها من باطن الأرض من المياه الارتوازية وكانت النتيجة أن غرس الأشجار في كل ما استطاع الاستيلاء عليه من الأراضي ، سواء أكانت مرتفعة أو منخفضة ، فأوجد مزرعة ذات مساحة واسعة دون أن يحسب رجاله الذين ابتدأوا بالعمل هناك ، حساب ما تحتاجه هذه المساحات المترامية الأطراف من مسطحات أخرى خالية لكي تمدها بماء الري . وهل سيمكن التلال المحيطة بالمزرعة أن توفر لها ما تؤمها من ماء الري خلال موسم الأمطار ، وهل سيمكن الحصول على السيول التي تنحدر كل الارتفاعات من مسافات بعيدة أم أن بعض الأشجار سيجد نهايته والبعض الآخر مقضي عليه بالحرمان .. مطمئنين كل الاطمئنان على ما سوف يخرجونه من المياه الارتوازية .. إذ جندوا لذلك عدداً من الماكينات الثابتة .. !!

ولرب قائل إنها كانت تجربة ، وكل تجربة عرضة لأن تنجح وأن يصيبها الفشل . ولكنني أقول إن التجربة لا تكون في هذه الرقعة الواسعة من الأرض وكان يمكن إجراؤها في مساحة صغيرة كما انتهج القسم أخيراً في محطة تجارب (الدراع البحري) ومحطة تجارب (مرسى مطروح)

ثم اتضح في ري الأشجار طريقة أرى أنها كانت بدائية ، وكانت محاولة يُقصد من ورائها علاج الخطأ الذي وقعوا فيه .. ولا أقول ذلك ناقداً إياهم بل بالعكس فإن لهم فخر الخطوة الأولى ، فكل خطوة أولى تحو أمر من الأمور يعوزها الكثير من الجرأة والشجاعة . ولولا خطؤهم الذي وقعوا فيه لما استطاع أحد بعدهم أن يهتدي .. ففي ظلام الخطأ يستطيع الإنسان ذو البصيرة أن يرى نور الصواب ..

فلقد كان المتبع أن تدار الماكينات للري حال سقوط الأمطار لكي يمكن توفير ماء كثير للري لا يحتوي على كثير من الأملاح فيستطاع الحصول على أكبر نسبة من الرطوبة الأرضية مع تجنب الأضرار التي تنجم عن الري بالماء المالح وحده .. وليتهم استمروا على ذلك في خلال الشتاء فقط ، فقد كانت الأضرار يمكن أن تُحتمل في البقاع الراقية والقليلة الارتفاع التي تحصل من مياه السيول على قدر كاف .. بل كان الري يستمر خلال الصيف أيضاً كلما احتاجت الأرض إلى الرطوبة التي تتطلبها حياة الأشجار

وعلى هذا الأساس كانت الأشجار التي في المناطق المرتفعة المنسوب تنقص بدلاً من أن تزيد وتنمو .. لأنها لا تأخذ كفايتها من مياه الأمطار ، فحاول القائمون بالأمر إذ ذاك

تعويضها بالماء المالح الذي لا أرى فيه إلا محروماً تنقيها الماكينات لتقتل بها الاعشاب .. ولقد كانت النتيجة المحتومة لمثل هذه الحالة أن تلاشت الاحواض النباتية التي عمرها محطة السكة الحديد . وكان ذلك بطبيعة الحال من تأثير الأملاح الموجودة في مياه الماكينات خصوصاً في الاماكن التي تروى بكثرة في فصل الصيف . فقد يتطاف عن مياه الماكينات في تربة الأراضي التي يغمرها السيل ١٤٠٠ وحدة ملحية في المليون .. وفي الاراضي التي لا تظفر بشيء يذكر من مياه السيل ١٣٠٦٠ وحدة .. وهذا القدر الاخير كاف جداً لأن يوقف النمو اذا لم يقتل الأشجار ، إذ أنه يفسد طبيعة التربة ويجعلها غير صالحة للزراعة ..

هذا ما جناه قسم البساتين من وراء قوته واستعداده الآلي أما ما أفاده البدوي من وراء عجزه . فقد اضطره العجز لأن يقتصر على زراعة الأراضي الواطئة (مواطىء السيل) حتى يستطيع خدمتها ولم يلق بالاً لري حديقته بعد السنوات الثلاث الأولى أثناء الصيف

وهنا كان لا بد من علاج لما أخطأ فيه السابقون . فالأشجار قائمة في الأرض ، والاصلاح يتطلب تمهيد الأرض وتسويتها ، حتى يمكن للأشجار أن تتساوى في نصيبها الذي تناله من السيول التي تغمر الأرض وتركد فيها إذا كانت منخفضة المستوى ، وتمر على الأرض المرتفعة المستوى مر الكرام دون أن تحدث فيها أثراً من رطوبة حتى أخذت أشجارها في التدهور والانتقال من سيء الى أسوأ . بينما الشجرات التي تنال حظها وفيراً من الماء في أحسن حال .

وفي غمار هذه الحالة تراءى لي (وكنت قائماً بالأمر في هذه البقاع في السنوات الأخيرة) أن أبدأ بالمغامرة فتمت الري بديلاً عن الأشجار القوية الواقعة في مواطىء السيول .. وجعلت أرافبها بدقة فإذا بها بدلاً من أن تتصوح خلال فصل الجفاف ظلت ذات خضرة وقوة حتى أدركها فصل الأمطار .

وفي العام الثاني أخذت في تقسيم الأرض المزروعة الى أحواض صغيرة مراعياً (تنشين) كل مساحة ذات ارتفاع واحد على حدة ، يبتون قوية يزيد ارتفاعها عن النصف متر .. وجعلت لكل منسوب قناة خاصة به وعلى مستواه لكي توافيه بالماء الذي تحجزه به « الحائط الخارجية » ، ليمكن غمر الأرض جميعها بالسيل وحبسه عليها بواسطة السدود القوية فلا ينحدر كما كان قبلاً الى الأماكن المنخفضة مغرقاً فيها دون غيرها .

ولم أدر الماكينات للري مع سقوط الامطار كما كان متبعاً ، بل عقدت النية على عدم الادارة قبل شهر فبراير رامياً من وراء ذلك الى غرضين .

الغرض الأول : ترك الفرصة للأرض أن تتغسل من الأملاح المتخلفة من الري في السنة

الماضي قبل أن نضيف اليها أملاحاً جديدة ..

والغرض الثاني : ترك الفرصة لمياه الأمطار كي تتسرب بواسطة الرشح ، خلال الطبقات الارضية حتى تختلط بمياه الآبار ، وثلاثة أشهر أرى أنها مدة كافية لذلك ليمكن الحصول على مياه إرتوازية عذبة الى حدٍّ كبير .

وحل فبراير وأدرنا الماكينات فإذا الغرض الذي أهدفت اليه يتحقق ، وأذا الماء يتدفق عذباً لا ملوحة فيه ، فروينا ريتين متعاقبتين حصلنا من ورائهما على الرطوبة الكافية الى وقت طويل ، إذ اتصلت رطوبة مياه الماكينات برطوبة مياه الأمطار التي سقطت خلال الموسم .. وكانت الأشجار في طور الإزهار فلم تتركها براكير الجفاف حتى بلغت الثمار مبلغاً أصبحت معه لا تخشى عليها .

على أننا كنا في منتصف إبريل قد انتهينا من ري المزرعة جميعها ريتين وهذا كل ما استطعنا ان نحصل عليه قبل أن تزداد ملوحة المياه .. وأقفلنا الماكينات بعد ذلك الى أجل قابل فبراير الثاني

وليس أدل على صلاحية هذا النظام في الري من أن الانتاج قد طفر من ١١٥٠٠ ك . ج . من الزيتون الى ٥٠٦٩٠ ك . ج . مع أن عدد أشجار المزرعة عندما أعطت ١١٥٠٠ ك . ج . كان ١٨٠٠٠ شجرة وعددها عندما أنتجت ٥٠٦٩٠ ك . ج . كان ١١٤٠٠ شجرة .. إذ كنا قد تخلصنا قبل ذلك من الأشجار الرديئة ..

مما تقدم وعلى ضوء هذه التجربة أرى أن الري بالماكينات خلال الصيف وبعد منتصف أبريل غير جائز مطلقاً واذ لم تسقط أمطار كافية خلال الموسم .. وأمامنا دليل آخر يمكننا أن نقيسه على أن ذلك لن يؤثر في الأشجار تأثيراً أميتاً البتة وهذا الدليل يسطع بوضوح في أشجار الأعالي التي لا تظفر بقطرة من الماء خلال الصيف . ومع ذلك فهي اذا قورنت بأشجار « مزرعة البساتين » نالت الاستحسان ..

وفضلاً عن هذا فان الري بالماكينات يتعارض تعارضاً تاماً مع الغرض الذي نسعى جاهدين من أجله ، وهو نشر الزراعة الجافة بين البدو بالطرق التي يستطيعون ممارستها والحصول على أسبابها المتفقة مع مقدرتهم المالية فلا تكلفهم جهداً ولا نصباً .. !!

٢ — يجب الاستيلاء والمحافظة على أنابيب المياه التي قام بمدها الجيش الانجليزي خلال الحرب الأخيرة بين أبي المظامير في نهاية الترعة النوبارية المذكورة وطرق حتى تصل مياه النيل الى أبعد مسافة ممكنة من الصحراء التي يقضي بنيها الظمأ في السنوات القليلة الأمطار فاذا توفرت المياه العذبة أمكن لمن يرغب الاقامة في الصحراء ريها أو يقيم وهو ناعم راضا

ما عمرت البقاع الصحراوية لا بد وأن يفكر الواقفون عليها في الاستغلال بعد ما يدرسونها دراسة وافية بأناة وهدوء . فتنشط فيها الحياة الاقتصادية ولا تكون مركزها قاصرة على طائفة خاصة لا منافس لها وليس لها هدف الا امتصاص دم بنيها وإحباط مساعيهم نحو التقدم وشل حركتهم . كلما حاولوا القيام بعمل نافع يعود عليهم بالخير .

٣ — مشروع منخفض القطارة : ولعل القارىء كثيراً ما سمع بهذا المشروع الجليل ، ولعل الكثيرين لا يذكرون ما هو هذا المشروع ولا ما ينطوي عليه من نفع كبير وخير للبلاد . لذا سنذكر موجزاً عنه فيما يلي :

« يقع منخفض القطارة في الجزء الشمالي من الصحراء ، وفي منتصف المسافة بين وادي النيل والحدود الغربية ويبلغ مساحته ١٩٥٠٠ ك . م . م أو ما يقارب مساحة الوجه البحري والبحيرات ، ويبلغ متوسط عمقه ٦٠ متراً ويقع فيه جزء ينخفض الى ١٣٤ متراً ، وهو يعد أعمق بقعة من الأرض عُرفت حتى الآن في أفريقيا . ولقد تكوّن من تأثير الرياح التي حملت من طبقاته الرخوة مكوناتها الرملية الى الجنوب الشرقي ورسبتها على شكل تلال رملية هائلة يشاهدها رواد الصحراء على خطوط مستقيمة يربو طول بعضها على المائة ك . م . وتكتنفه من الشمال والغرب هوامش صخرية تعلو عن قاعه في بعض الأجزاء حوالي ٣٠٠ متر . أما في الجنوب والشرق فيعلو قاع المنخفض تدريجياً الى متوسط منسوب الصحراء .

ويرجع الفضل في معرفة منخفض القطارة الى العالم الكبير « الدكتور جون بول » الذي كان مديراً لمساحة الصحاري المصرية فقد كان يقوم في أوائل سنة ١٩٢٧ بأبحاث في الصحراء فنبه الى مزايا المنخفض ، ثم اشترك مع دولة حسين سري باشا ، في بحث مشروع الانتفاع بهذه المزايا في توليد القوى المحركة .

أما وسائل الاستغلال ، فيؤخذ من المذكرة التي وضعها « سري باشا » عن المشروع انها تنحصر في توصيل المياه من البحر الأبيض الى المنخفض بواسطة ترعتين يمر الماء في أغلب أطوالها بنفقين من البناء ويسقط منهما في القطارة .

ويبلغ طول الخط من البحر الى المنخفض خمسة وستين كيلو متراً تقام محطة توليد الكهرباء في نهايته . وتتكون الأرض التي يمر فيها النفقان في أغلب طولها من أحجار جيرية وطفلية يسهل إنشاء النفقين فيها بواسطة حفارات دائرية مركبة جرياً على ما هو متبع في انشاء أنفاق السكك الحديدية .

وقد قُدرت النفقات التي يتطلبها توليد قوة كهربائية مقدارها ٥٥ ألف كيلووات بمبلغ ١٧٫٥ مليون من الجنيهات وهي نفقات ليست بالباهظة اذا درست بما يتضمنه مشروع

عادي لتوليد مثل هذه القوة الكهربائية من محطة توربينات بخارية تقام على النيل وتدار بالفحم لأن إنشاءها يحتاج الى مليونين ونصف المليون ، وتستلزم إدارتها ٧٦٠ ألف جنيه في السنة ولصيانة ٦٠٠ ألف جنيه . فاذا روعي أن الفرق بين صيانة المحطتين هو ٩١٠ ألف جنيه وحوّل هذا الرقم الى رأس المال بفائدة قدرها ٣٪ لمدة ثلاثين سنة لكانت النفقة ٩٠٠ر٤٠٠ر٠٠٠ جنيه

ولقد كانت النية متجهة لاستغلال القوى الكهربائية المولدة من هذا المشروع لإدارة طلمبات الصرف في شمال الدلتا ، وتسيير قطارات السكك الحديدية في الوجه البحري ، وإضاءة البلاد الواقعة بين مديرية بني سويف والبحر الأبيض . هذا الى جانب إدارة المصانع الأهلية بقوة كهربائية زهيدة الثمن . . !!

ومما انطوى عليه المشروع من المزايا أن وجود بحيرة في القطارة يدعو الى التفكير بزيادة كمية الأمطار التي تهطل في الصحراء من تأثير تبخر مياه البحيرة . يضاف الى ذلك رفع منسوب المياه الجوفية في الصحراء الغربية مما يؤدي الى زيادة المساحات التي تزرع في الواحات . . !!

وإذا نُفِّذ هذا المشروع يمكن إدارة الطلمبات التي تقام لرفع مياه ترعة النوبارية إذا مُدت فيستطاع توصيل الماء إلى أبعد نقطة داخل الحدود المصرية وبثمن زهيد وتكاليف لا تذكر بجانب ما سيعود على البلاد من خيرات . . ويمكن الإكثار من العنب والزيتون . والغابات تسد حاجة البلاد من الأخشاب وتفادى الوقوع في مثل ما وقعت فيه البلاد من ورطة غلاء الأخشاب وانعدام بعض أنواعها عندما نشبت الحرب الأخيرة . . ولا ريب أن في تنفيذ هذا المشروع قيام صناعات كثيرة تعود بالخير على أبناء القطر جميعاً .

٤ — تتبع وزارة الزراعة سياسة مفيدة في الصحراء تتضمن توزيع أشجار الزيتون واللوز والفواكه بعد التثبت من نجاحها في هذه المناطق بتجربتها سنوات عدة . على الأهلين بغير مقابل وذلك لمساعدتهم أولاً في إيجاد سبل للارتزاق يستعينون بها على العيش . وثانياً تهدف الحكومة من وراء ذلك لتثبيت البدو في أماكنهم فيخلصون صفة النزوح الى الرحيل كلما أجدبت الأرض من الشعير أو تراءى لهم ذلك ، إذ أن البدوي عندما يجد أن له أشجاراً تعطيه محصولاً يستطيع الانتفاع به فلا ريب أنه سيرتبط بجوار أشجاره ويتعذر عليه الرحيل . زد على ذلك ما في المشروع من سد للعجز فيما تحتاجه البلاد من زيت الزيتون والزيتون المخلل فتستورده من الخارج بأثمان باهظة . ولكن هذا المشروع على ما فيه من فائدة كبيرة فقد أرى فيه نقصاً إذ أنه ينفذ بديكتاتورية واسعة النطاق بين البدو والحكومة

فللبدو حرية أخذ الأشجار أو الرفض اذا ما عرضت عليهم وفي هذه الطريقة تضييع للوقت بلا مبرر ، إذ يمكن تنفيذها بقوة القانون والإدارة فيجبر كل بدوي يضع يده على أرض تصلح لزراعة الأشجار متوفرة فيها الشروط المطلوبة على استلام العدد الذي يقدره رجال الزراعة لأرضه من الأشجار .. ويكلف بالمحافظة عليها ويعاقب إذا أهمل حتى إذا ما كبرت الأشجار وأثمرت تُركت له فانه سيحافظ عليها رغم أنفه حبًّا في النفع الذي سيجنيه من وراثها وبذلك نختصر الزمان الطويل الذي سوف نقطعه في اتباع سياسة عدم الارغام فهذه ثروة قومية قبل كل شيء وإن كان ظاهرها مصلحة الأفراد .

ب — منطقة الواحات

أما منطقة الواحات فهي في حاجة الاستمرار في إخراج العيون حتى يمكن استغلال جميع الأراضي القابلة للزراعة فيها ، وأحق الواحات بالعطف والرعاية هي الواحات البحرية إذ أن ماءها قليل جدًّا لا يكفي لإنتاج المحاصيل التي تقوم بأود سكانها ، ولذا فانهم يستوردون ما يلزمهم من قمح ودقيق من وادي النيل بفادح الثمن . ومنهم من يواجههم الجوع في فترات من العام أهمها قبل نضج البلح بقليل ولذا يضربون مثلاً في ذلك إذ يقولون « الجوعة الغبرة في طقة الصفرا » أي عندما يبدأ البلح في التلون باللون الأصفر ، في هذه الفترة لا يجدون من يقرضهم ولا من يبيعهم على أجل اذ استنفدوا محصول العام المقبل قرضاً وعقداً .. فلو أن عندهم من الأراضي الزراعية التي تجد من الماء ما يكفي إنتاجه لسد حاجتهم لما كانوا على هذه الحالة التي أوردت .

ثانياً — ﴿ اليد العاملة ﴾

المنطقة الساحلية غنية برجالها على الوضع الذي هي عليه الآن من الاعتماد على الأمطار وعدم وجود وسائل أخرى للري . أما منطقة الواحات فجميعها في حاجة لأيد عاملة لتنتج إنتاجاً صحيحاً إذ أن السكان المقيمين علاوة على قلتهم فانهم كسالى لكثرة ما انتابهم من الأمراض ولعدم دخول دم جديد فيهم لذلك فهم في إضمحلال دائم وضعف مستمر ، وسوف لا تكون العاقبة محمودة إذا لم يلقح البلد بدم جديد غريب عنهم .. وهذه الحال يمكن إصلاحها بثلاثة أمور :

١ — ترحيل عائلات من الريف المصري للإقامة بهذه البلاد واستغلال أراضيها وخصوصاً من المديريات المزدحمة بالسكان كالقليوبية والمنوفية وجنوب الغربية ، فإن هذه البلاد المزدحمة بلغ فيها الضيق أشد مرحلة إذ أن أربعة رجال وعائلاتهم يتناوبون على فأجور

فدان من الأرض تكفي بكميتها من وراء إفلاحه رزقهم . . الأمر الذي من جرائه ارتفعت قيمة الايجارات الزراعية وتغالى الملاك تغالياً بلغ حد الفحش ، وكثيراً ما يؤدي التنافس على استئجار الأراضي الى وقوع جرائم قتل بين الأفراد .

إذن فما الداعي لاضطراب الأمن وتنافس السكان على أمر يمكن أن يُحل بأيسر السبل . وما الداعي أيضاً لإقامة هؤلاء الناس الذين ضاقت بهم الأرض في قراهم وهم لا يملكون فيها شيئاً ، وهم لا يرحلون إلى جنبات السعة والعيش الرغد بما ستفدقه عليهم تلك السهول الخصبة المترامية الأطراف من خير عميم . تلك السهول التي لا تجد من يستغلها في الوجه الذي ما خلقت إلا من أجله . . ولقد كانت هذه الأراضي تُستغل من زمان بعيد إبان أن كانت الواحات تعج بالسكان . . فما أيسر أن تنتقل بعض عائلات الفلاحين لاستئناف استغلالها من جديد .

ولن تكون أول الفاعلين لمثل ذلك ، فلقد خطت ايطاليا الفاشية مثل هذه الخطوة في جرأة وحزم وعزم . . عندما أرادت استعمار طرابلس استعماراً فعلياً وذلك بأن نقلت قرى إيطالية بأسرها من بلادها الأوروبية الى سهول طرابلس الافريقية للاستيطان بها ، وبدأت في تنفيذ المشروع قبل الحرب الأخيرة بقليل فهيأت بضع قرى حديثة في ليبيا وأعدت الأرض للزراعة ثم نقلت اليها عشرين الف إيطالي وإيطالية .

ولندع « المريشال بالبو » حاكم ليبيا إذ ذاك يحدثنا عن ذلك عند ما سأله أحد الصحفيين عن تطورات المشروع حتى دخل في طور التنفيذ . .

قال « المريشال بالبو » :

« خطرت لي هذه الفكرة منذ عام فقط ، وكنت إذ ذاك أقلب وجوه الرأي في السبل التي تُمكننا من استعمار ليبيا والاستفادة منها على أحسن وجه ، فبدا لي أننا إذا نقلنا قرى إيطالية بأسرها من بلادها الى سهول ليبيا لخففنا بذلك عنهم ألم الهجرة والفراق ، لأن المهاجر منهم لن يخلف وراءه في وطنه أهله ومن يحبهم من صحب ، بل سينتقل الجميع معاً ، فيحسون أنهم في وطنهم ما يزالون ورأيت أن أنقل معهم كذلك مدرستهم القروية ، وكنيستهم الصغيرة ، وكاهنها الخاص حتى يكتمل لهم « الجو » الذي ألفوه قبلاً . . في وطنهم الجديد . . !!

وقد رأيت أن ذلك العمل يمكننا كذلك من محاربة الملكيات الكبيرة ، والوقوف في وجه الحركة التي نشطت منذ حين في ليبيا ، وهي إقدام المموّلين الايطاليين على شراء مساحات هائلة من الأراضي الليبية وتركيزها في يد الملاك الكبار ، فهذا المشروع يجعل الأرض ملكاً للمهاجرين . . وكلٌّ له نصيبه . . !!

ولقد قدّرنا لكل فردخمسة وعشرين فداناً لا يؤدي عنها مالاً ، واستطعنا أن ننشىء

في المزارع الجديدة أنظمة كاملة للري حتى توافرت المياه وصالت بها تلك الفياض الساهمة ، ولم تغادر موضع بئر رومانية قديمة ، أو مكاناً يصلح لحفر بئر إرتوازية إلا والماء يسيل فيه .. وأقيمت المساكن في القرى ، كل منزل ثلاث غرف وحمام ومأوى للنعم .. وزودت القرية بمدرسة وكنيسة وطبيب ومكتب للبريد ، ومخفر للشرطة ، ولم يستغرق هذا أكثر من شهور عشرة ، كان لدينا بعدها مأوى صالح لعشرين ألف إيطالي .. »

فياحبذا لو أتبعت الحكومة المصرية مثل هذا النهج في بلاد الواحات والساحل الشمالي. إذن لتوفر لدينا ميدان واسع للانتاج ومصدر رزق عظيم..

٢ — وثم أمر آخر يمكن استغلاله وما هو بعسير التنفيذ .. وهو أن لدينا آلافاً من الرجال خلف جدران السجون .. فاذا هناك من الضير على المجتمع إذا صُرح لهؤلاء السجناء باصطحاب عائلاتهم والرحيل بهم الى هذه البقاع والاقامة فيها طوال المدد المحكوم بها عليهم تحت الحراسة ، فيفلحون الأرض لهم وذووهم مقابل أجور معتدلة تقدر لهم تقديراً ويعطون ما يقوم بحاجتهم المعيشية ويحفظ الباقي لهم حتى إذا ما أوفوا مدة سجنهم خُيروا بين أخذ المتجمد لهم مالاً لكي يبدأوا به عملاً شريفاً بدلاً من الخروج من السجن الى التشرد وبين إقطاعهم أرضاً من التي أفلحوها أعواماً لكي تستقيم لهم سبل العيش والارتزاق مع إعفائهم من الضريبة حيناً ، أرى أن أغلبهم سيفضل الاقامة ما دامت سبل العيش والكرامة مكفولة لهم . وهل يرتكب المجرم جرائمه غالباً إلا تحت تأثير ضنك الفقر وصلصلة أغلال الفاقة .. ؟؟ ان السجن تأديب وتهذيب وإصلاح وإن هذا لخير طريق للتأديب والتهذيب والاصلاح من جميع الوجوه ..

هذا من ناحية ومن ناحية أخرى يمكن إدخال الدم الجديد في عنصر الواحيين بهذه الطريقة وذلك بترك حرية التزاوج بين المهاجرين السجناء والأهلين المقيمين .. !!

٣ — منع الهجرة الى وادي النيل :

فلقد أغرم أهل الواحات الجنوبية — الداخلة والخارجة — بالهجرة الى وادي النيل حرباً وراء الكسب ، ومن الغريب أن لكثير أهل بلدة ناحية يهاجرون إليها ، وصناعة يشتغلون فيها في مهجرهم دون تغيير ولا تبديل حتى أن المهاجر منهم اذا لم يجد مهنة كالتي يمتهنها أبناء قريته ظل عاطلاً الى أن يجدوا له عملاً كالذي يشتغلون فيه وإليك بيان البلدان التي يهاجر أهلوها والجهات التي يهاجرون اليها ، والاعمال التي يزاولونها .

(١) أسمنت : ويهاجر أهلوها غالباً الى الزقازيق ويعملون حمالين وحوذية

(٢) بُدخلو : « « الى القاهرة « بحي الخضيري » ويعملون حمالين وحوذية

(٣) بلاط : ويهاجر أهلوها الى طنطا والمنصورة وحلوان « ويعملون في « ممتوقدات الفول المدمس »

(٤) تنيده : ويهاجر أهلوها الى مصر الجديدة ويعملون « بوابين »

(٥) القصون : « « الى القاهرة باحياء « الغالي والسيدة زينب وباب الشعرية وشبرا « يعملون طباخة وخبازين ومنهم الآن أصحاب مخابز كبيرة في القاهرة « كمحجوب القصوني » وأصحاب مطاعم فخرة كعبد النبي سليمان بالسيدة زينب .

(٦) الجديدة : ويهاجر أهلوها الى حول جامع الكحكية وباب البحر بالقاهرة ويعملون زبالين وطباخة .

(٧) الراشدة : كالجديدة

(٨) القصر : ويهاجر أهلوها الى الحسينية بالقاهرة ويعملون في مهن كثيرة

(٩) المعصرة : « « الى قسم الجمالية ويعملون في المطاعم والمحال التجارية

(١٠) الموشية : « « الى ناحية الجامع الأحمر بكلوت بك ويشتغلون في الخانات وغيرها .

(١١) موط : ويهاجر أهلوها الى باب البحر والسويس ويعملون « جرسونات »

(١٢) الهنداو : « « الى الجامع الأحمر كالموهبية

(١٣) عين القضا وعين الرخا : ويهاجر أهلوها الى بولاق ويشتغلون في صناعة الفول المدمس .

ومما يلفت النظر حقًا وجدير بالذكر أن لكل بيت تقريباً في بلاد الواحات الداخلة على الأخص مهاجراً في القاهرة خاصة وفي الجهات الأخرى عامة . وهذا المهاجر يشتغل ويرسل من كسبه الى أهله مايلزمهم من حاجيات للعيشة التي يصعب الحصول عليها في الواحات كالشاي والسكر والقماش . وهم يرسلون إليه البلح الزائد عن حاجتهم لتصريفه . ولكل مهاجر أن يقيم في مهجره عامين يعود بعدهما الى موطنه على أن يحل محله في عمله ومهجره آخر من ذويه مدة عامين أخريين ثم يتبادلا .. ومن الغريب حقًا أن يلي كل منهما اصاحبه فيترك المهاجر أنوار المدينة ويعود الى الصحراء لكي يُعمِّل المهبها في الصيف . ويقطف عيشها وبردها القارس في الشتاء .

وأهل الواحات المقيمون في مهاجرهم ذوو وطنية فذة حقًا وكرم حاتمي إذ لا يكاد يهبط الأرض التي يقيمون عليها قادم من بلادهم حتى يتبارى الجميع في اكرامه فلا يتركون له الفرصة لإنفاق درهم واحد في أية ناحية من النواحي . فان كان من طلاب الأعمال بحثوا

له عن حمل وإن كان زائراً فطلبوا منه كرماه الى أن يودعوه على رصيف محطة القاهرة ..

وثم ظاهرة أخرى تبعث على العجب حقاً إذ أنهم يتناسون أحقادهم وما هو قائم فيما بينهم من عداوات في بلادهم اذا ما جمعهم مهجر واحد . فاذا عادوا الى بلادهم عادت أحقادهم وعداواتهم تظهر من جديد فلا تنفع لها تلك الأيام التي قضوها في المهجر كشقيقين .

ولقد أفادوا من الهجرة كثيراً وخسروا كثيراً .. أما ما أفادوه فظاهر في بعض متاجرهم التي تقوم الآن في القاهرة وغيرها وأما ما خسروه فاني أورده في ثلاثة أمور :

١ — (من الوجهة الاقتصادية) :

كثرت الهجرة فقلت اليد العاملة فلم تجد الحدائق والزراعات من يتعهدها بالعمل والرعاية وكذا العيون .. فماتت أغلب الحدائق وغاضت معظم العيون .

٢ — (من الوجهة الأخلاقية) :

تعوّد الواحي أن يتزوج ولا يبالي بزوجه إذا ما حل موعد هجرته فيتركها شابة بلا رجل مدة عامين أو أكثر . ولهذه الزوجة الشابة أحاسيسها ورغباتها التي لا تجد من زوجها الغائب مليئاً فتضطر الى العيث مما أدى الى هدم الأخلاق هدماً لا قومة لها من بعده إلا بمعجزة .

٣ — (من الوجهة الصحية) :

المهاجر في مهجره حريص على الدرهم فكثيراً ما يصاب بأمراض خبيثة ويضن على نفسه بثمن العلاج حتى اذا ما عاد الى بلده عملاً بالأمراض الفتاكة راح يوزعها بسخاء على الزوجات اللاتي هاجر أزواجهن .. لذا فقد انتشر فقد الابصار بين الأطفال .

ولهذا جميعه ..

أرى منع الهجرة منعاً باتاً حتى يمكن التخلص من هذه الكمبات الثلاث التي منيت بها الواحات الداخلة وبعض بلاد الواحات الخارجة كقرية جناح ..

ثالثاً ﴿المواصلات﴾ :

وتلعب وعورة الطرق الموصلة للواحات جميعاً دوراً خطيراً في عدم تقدمها وصيرها نحو الرقي سواء أكان اقتصادياً أو اجتماعياً . ولقد لمس ولاة الأمور هذا الأمر في الفرق الشاسع بين مدينة الخارجة التي يصلها ببلاد القطر خط حديدي وبين بقية البلاد الأخرى البعيدة عنها بالواحات الداخلة بل والقريبة منها بالواحات الخارجة أيضاً فانك لتلمس فيها انقباضين في كل شيء .

فأهل الخارجة « المدينة » يبيعون محصولاتهم أغلى من البلدان الأخرى لقربهم من محطة السكة الحديد وكل القرى سواء أكانت بالواحات الداخلة أو الواحات الخارجة تبيع

بسعر الخارجة المدينة (ناقص) تكاليف التنقل . وتكاليف التنقل الصعبة في يد المتعهدين وأصحاب السيارات لولا تدخل الحافظة في الأمر بين الحين والحين للحد من تغالي هؤلاء المتعهدين ومن على شاكلتهم من أصحاب السيارات .

غير ذلك فان أهل الخارجة « المدينة » يحصلون على حاجياتهم بأثمان أقل من البلدان الأخرى فمثلا « قمع السكر » وصل ثمنه في « باريس » وتبستين من الشعير أي أربع كيلات بينما ثمنه في الخارجة لم يتعد وقتذاك الثمانية قروش ، فاذا كان الشعير هو الرخيص فان ثمنه لن ينحط حتى يبلغ القرشين للكيلة وإن كان السكر هو الغالي فانه لن يتكافأ بأية حال مع ثمن أربع كيلات من الشعير ، وأما السر في ذلك فهو أن القرية بعيدة عن المواصلات ، والمستهلك في أمس الحاجة والتاجر يتحكم لأنه هو سيد الموقف .

هذا مثل لسرفه على ما فيه سكان القرى البعيدة من غبن ولو ان الطريق الحديدي امتد بين هذه القرى اذن لارتفع عن كاهل أهليها ما يلاقونه من غبن فظيع .

ثم أمر آخر سيكون نتيجة لتيسير المواصلات وهو جعل الموظفين المتقولين لهذه البلاد لا يشعرون بأنهم من المنفوب عليهم أو الضالين . لذلك فقد تقهم الحكومة الى هذه البلدان التي لا تصلها بالعالم غير آلة التلغون المنزوية في ركن من أركان حجرة العمدة ويقوم عليها خفير بندقيته كأنما ليحرسها أو ليحول دون وصول المفوضين اليها . ولقد سمعت بنفسي طبيباً بيطريًا ينطق بالشهادتين بخشوع وتجلى عند ما سمع صفارة القطار في مرمى مطروح وكان هو قادماً مني من سيوه .

قلت له : ما السبب في هذا التعلي وهذا الخشوع . ؟؟ فأجاب إنما أفكر لربي فضله إذ أعادني الى العمران من جديد وأشعرني أني قربت من البلاد التي تنبض بالحياة . !! قلت : وفيم أشعرك . ؟؟ قال : إذ سمعت صفارة القطار شعرت أني لست من الدنيا ببعيد !!

وعلاوة على مدّ الخط الحديدي بين الواحتين الداخلة والخارجة يجب تكملة وصف الطريق الممتد بين مرسى مطروح وسيوه ، فانه لطريق وعر لا يمكن اجتيازه بسلام واطمئنان : فكل سيارة تمر فيه مقتضي عليها بالعطب حتى تنتهي منه وما هو بالطريق القصير إذ يبلغ طوله ٢٩٢ ك . م . وصف منها ٥٠ ك . م

أما الواحات البحرية فهي الواحات الوحيدة التي لم تظفر برعاية كاملة ، وإني لاعتقد أن آلهة لم يظفروا من الحكومة بأية خدمة غير أذى رجال الحدود لهم وتسلطهم عليهم بحق وبغير حق ، ولكم استصرخوا فلم يجدوا مغيثاً ولا مجيباً . فليرحمهم الله هم وسكان الدوادرة لانهم ليسوا محجوبين من سكان القطر مطلقاً إذ أن هذا ما يبدو على مظهرهم وحالة بلدانهم .. !!

وواحة النرافرة هي الواحة الوحيدة في الصحراء التي كفاها الله شر تسلط رجال الحدود على أهلها فانهم لوعورة الطريق الموصل لواحتهم لا يستقبلون موظفي الحكومة إلا كل خمسة أعوام مرة إذا عن لأحد أن يذهب إليهم في عزلتهم . . ولقد ذهب أحد الضباط من مصلحة الحدود يوماً ليكي يرى ما هي هذه الواحة . . ولما أن استقر في دار العمدة سأله : ما هي آخر مرة رأيت فيها موظفاً من قبل الحكومة . . ؟! فقال العمدة منذ ثلاثة أعوام . . !

رابعاً ﴿ الجمعيات التعاونية تؤدي خدمات جليلة لأهل الصحراء ﴾ :

كان المفروض أن ينجح التعاون في الصحراء والواحات وتمشياً مع هذا الفرض بدأت بإنشاء جمعية تعاونية في برج العرب في عام ١٩٤٥ وقد بدأت الجمعية عملها برأسمالة جنيه وما وافى آخر العام حتى كانت الاكتتابات الجديدة والأرباح قد أبلغت رأس المال الى الآلف جنيه تقريباً وساعد معالي احمد عبد الغفار باشا الجمعية لدى وزارة الشؤون الاجتماعية فمنحتها إعانة مالية مقدارها سبعمائة جنيه . وسارت الجمعية في تحسن مطرد الأمر الذي أغرى سعادة محافظ الصحراء بإنشاء جمعية أخرى في مرسى مطروح وفعلاً نفذ المشروع ولكن الجمعية وقفت عن التقدم ولم تصادف نجاحاً . . وصار الجميع في أمر صين الجمعيتين فكيف أن إحداهما ناجحة والأخرى لم تصادف توفيقاً . . ولكن الأمر الذي لم يخف عني بإزاء ذلك هو أن الجمعية التي أسسها نجحت لأسباب أهمها . . أنها وجدت هيئة كفلت لها مورداً لا بأس به من العملاء ذوي المرتبات وقبضت على الأمر بشدة إذ كانت تقوم على طائفة من العمال فوافها بمائة عامل أجورهم حوالي الآلف جنيه شهرياً وهؤلاء يتعاملون مع الجمعية بالآجل ولكن الجمعية الأخرى وجدت منافسة التجار المحليين في البيع على الآجل وليست هناك الهيئة التي تضمن دوام الحركة وتداول رأس المال . والبدوي مغرم بالشراء بالآجل وإن كان المال ملء جيوبه لأنه يأمل أن يماطل في الدفع ومن هذه خلتهم لا يستقيم بينهم حال مطلقاً . . هذا في المنطقة الساحلية . أما في الواحات فاني أرى غير ذلك — إذ لا ريب أن الجمعيات التعاونية في الواحات أمر لابد منه لانقاذ صغار الزراع من تحكم التجار الجشعين الذين لا يقف جشعهم عند حد . إذ يأخذون محصولاتهم منهم بأبخس الأثمان ويبيعون لهم حاجياتهم بأسعار جاوزت حد الإرهاق وهم تحت ضغط الحاجة الملحة لا يستطيعون الرفض

وإن الجمعية التعاونية لتستطيع تصريف محصولاتهم بأمانة وبأثمان عالية ، وفي نفس الوقت تستحضر لهم حاجياتهم بأسعار لا تقبل المزاحمة . فتصبح فاذا هي بمثابة ميزان للتجار الجشعين الذين لا يحيدون عن استغلال الظروف القاسية التي يقع تحتها المستهلكون . وفي نفس الوقت تنقذ الأهالي من براثن المرابين الذين يفتكون بصغار الزراع ويمتصون دماءهم حتى

يقصوا في أغلال الافلاس والفقر والفاقة إذ أن الجمعيات التعاونية ستقرض المحتاجين بفوائد زهيدة القيمة . وعلى هذا يمكن أن يستقيم الحال .

خامساً : ﴿ إنشاء واحات جديدة ﴾ :

ولربما كان غريباً أن أتقدم بمثل هذا الاقتراح . ولكن إذا اتضح أن هنالك مساحات واسعة النطاق تقع فيما بين الواحات الخارجة والواحات الداخلة تقدر بمئات الألوف من الأفدنة الجيدة التربة . خصوصاً عند النقطة المعروفة « بأبي منقار » التي تتوسط سهولها المستوية المسافة بين الواحتين . إذاً لما كنت مغرباً فيما أقدمه من اقتراح ولانضم إلى رأي كثيرون خصوصاً وأن كل الوسائل مهيأة . فالماء يسهل الحصول عليه . والسهل منبسط عظيم . أما الايدي العاملة ، فأرى أن تخصص لاستعمار هذه السهول طائفة من العائلات الفقيرة التي سيجري ترحيلها أو السجناء الذين سينقلون لهذه النواحي .

وفي المسافة بين واحة باريس .. وواحة بولاق بالواحات الخارجة سهل آخر لا يقل عن سابقه خصباً وانبساطاً . فلو أنشئت القرى في هذه السهول وأخرجت العيون بماء الري لعم النفع وازدادت ثروة البلاد

سادساً : ﴿ تحسين وسائل الزراعة ﴾ :

ان في الطرق المتبعة في الزراعة في هذه المناطق لعقماً وإجهاداً لا يأتي بما يستحق من نتائج فالفلاح يقلب الارض لزراعة الحاصيل بساعديه بواسطة فأس تقيل مجهد في العمل يسمى « الطورية » أما المحراث فانهم لا يعرفونه ولربما عرفوه ولكنهم لم يستسيغوا العمل به لأنهم تعودوا ذلك من قديم الزمان . فالفدان الذي يكلف الفلاح المصري يوميز لحرثه وإعداده للزراعة يستغرق من الفلاح الواحي عدة أيام ولهذا السبب تراهم لا يتوسعون في الزراعة . فان قوى سواعدهم وحدها لا تكفي الا لفلاحة هذا القدر اليسير من الارض ولو أدخلت آلات الحرث البلدية والافرنجية واستغلت القرى الحيوانية والبخارية ودربوا عليها لاستطاع هذا العدد من الرجال انتاج أضعاف ما ينتجه الآن بقوة ساعده .

ولو علم القارىء أن الفلاح السيوي يضطر لملوحة أرضه أن يقلب التربة الى عمق كبير لكي يهيء مهاداً أقل ملوحة للبزور التي سيزرعها — وان هذا العمق يزيد عن المتر . إذن لعلم إلى أي حد يجهد هذا المسكين نفسه في سبيل الحصول على لقمة الخبز ليس إلا .

هذا من ناحية . ومن ناحية أخرى فان تحتهم وأرضهم وشعيرهم يدوس بحوافر الماشية فينتج عنه حب ملوث وتبن لا يصلح لغذاء الحيوانات وبذلك يضيع المجهود بين أرض لا تعطي ومحصول رديء النوع والسبب كله راجع للطرق البدائية التي يعملون بها .

ويجب أن يراعى تغيير الأنواع الموجودة لديهم الآن من الحبوب إذ أنها خليط من أنواع منحطة الصفات فلو أبدلناها بغيرها من الأنواع الجيدة الصفات الحديثة لجاءت بغلة وافرة .

وكذلك يجب إدخال زراعات أخرى جيدة مما ثبت نجاحه بالتجارب في وادي النيل سابعاً : ﴿زراعة الغابات﴾ :

ليس من الضروري أن تشغل جميع هذه المساحات بزراعة المحاصيل الحقلية المعتادة ففي زراعة أشجار الفاكهة مجال كبير وفي زراعة الأشجار الخشبية مجال أوسع ، ولا شك أن الجميع قد لمسوا حاجتنا الى الأخشاب عند ما حالت الحرب الأخيرة بيننا وبين ما يرد منها من الخارج فلو ان هذه المساحة استغل جانب منها في زراعة الأشجار الخشبية لأمكن أن تسد حاجة القطر بعد سنوات قليلة ، وليس ذلك فحسب بل ويمكن تصدير الفائض منها للبلاد الشرقية الأخرى . وزيادة على ما تقدم فإن وجود مساحات من الأشجار العالية الوارفة الظلال أمر لا ريب يعمل على تلطيف حرارة الجو الى حدّ كبير في فصل الصيف فيمكن الاقامة في ربوعها دون عناء .. ولا جدال في أن مستشفيات كثيرة ستنشأ بجوار زراعة الغابات .. وكذا يمكن استغلال الغابات في صيد الطيور إذ أنها ستباح اليها في تلك الربوع الفاخرة التي ستأوى اليها أيام الشتاء خاصة وسيكون فيها مجال لا بأس به لتسلية الهواة وارتزاق المحتاجين ..

ثامناً : ﴿الثروة الحيوانية﴾ :

ان أكثر الحيوانات عدداً في بلاد الواحات هي الأبقار والماعز .. ثم الأغنام وهي التي يرغب فيها الأهالي . على أن الموجود منها من سلالات غير جيدة نديمة لم يطرأ عليها أي تحسين في النوع .. فالأبقار قصيرة القامة رديئة التركيب علاوة على ما بها من الضعف والهزال ولقد اكتسبت هذه الصفات المنحطة بالتوارث على مر الزمن . ويرجع عدم تحسين صفاتها لأسباب كثيرة منها :

١ — بُعد البلاد عن العمران ، وصعوبة المواصلات التي يندر معها استيراد المواشي الجيدة من بلاد وادي النيل لتحسين السلالات المحلية بالواحات فكثيراً ما تتلف الماشية في الطريق وليس هناك من يجرؤ على تكبد نفقات يرى ألا جدوى من ورائها ولا نفع ..

٢ — عدم تغذيتها التغذية الكافية لقلة المراعي والحاصلات الزراعية والحبوب الفائضة عما يتطلبه الانسان لغذائه هو .. وإن ما يزرع من البرسيم لقليل بالنسبة لعدد المواشي والحيوانات الأخرى التي تتغذى عليه ، كما أن المواشي لا تجد ما يكفيها من المؤونة خلال

الصيف غير تين الشعير والقمح مع قلة مايتتج منه علاوة على عدم اعطائها أي نوع من الحبوب المركزة مثل الفول الذي لا يزرع في هذه البقاع إلا خضاراً فقط .

وأما الماعز فانه ليكثر في الواحات لرخص ثمنه ، وقلة تكاليفه وهو من النوع الأسواني البلدي الصغير الحجم ولبنه قليل لا يكفي أكثر من نتاجه .

والأغنام لا يربى منها إلا النوع الصعيدي القصير القامة الرفيع الذنب القصير الشعر وترجع قلة الأغنام بالواحات لقلة المراعي أيضاً .

ولكي نحسن مستوى هذه الأنواع يجب تطعيمها بدم جديد من سلالات جيدة من الأبقار البلدية والدمياطية والأغنام الأوسيمي والماعز البلدي وتوزع الأنواع الجيدة على القادرين على تحمل نفقات تغذيتها أولا ثم على الآخرين . . وإن ذلك ليتطلق تعلقاً ملحوظاً بتحسن الزراعة لايجاد المراعي والعلف اللازم لهذه الحيوانات .. !!

تاسعاً : ﴿ منح الأهالي حق التملك ﴾ :

لم يمنح القانون أهل الصحراء جميعاً حق تملك الأرض وإنما جعل لهم الانتفاع حقاً موروثاً على أن الحكومة اذا شاءت أن تأخذ قطعة أرض من أحد الأهالي انتزعتها منه بغير مقابل من الثمن إلا لما يقوم عليها من أشجار وبناء ..

وهذا أمر يضعف الرغبة في التوسع في الزراعة والإصلاح ، فكيف يصلح اليوم ما هو غير واثق من بقائه في قبضة يده، والإصلاح يكلف نفقات باهظة . . لذا فإني أرى منح الأهالي حق التملك للاراضي الواقعة في حيازتهم كما هو الحال في وادي النيل على ألا يجوز البيع إلا لمصري وطني وليس للاجانب حق امتلاك أرض في الصحراء، وكل بيع يقع بين وطني وأجنبي في الصحراء باطل ويخول للحكومة الاستيلاء على الأرض مع حرمان البائع والمشتري من جميع الحقوق فيها .. وبهذا نصل الى القصد من عدم إعطاء حق التملك للبدو وهو الحد من شهوة الشراء عند الأجانب في أراضي الصحراء وفي نفس الوقت ندفع الملاك على الاصلاح والتوسع في الزراعة .

عاشراً : ﴿ ماء الفيضان ﴾ :

أن التجول في ربوع الواحات الخارجة بين بولاق وباريس يرى تلالا طمية هي من نفس التربة التي تتكون منها الجزر النيلية . وأكبر الظن أن هذه التلال آثار ترسب غرين النيل في العصور القديمة فلا ريب أنها كانت تظفر بالكثير منه فاذا علينا إذا فقدنا في جوف الصحراء ترعة كبيرة من عند نجع حمادي لكي تنقل الماء الذي يذهب سدى في البحر الى هذه المنخفضات للانتفاع به في مرافق الزراعة والانتاج .. ولعل في ذلك منافع

أخرى كإمكان توليد القوى الكهربائية عند مساقط الترعة وهي منحدرة الى منخفض الواحات كما هو الحال في واحة الفيوم وبحر يوسف .. !

وأخيراً أرجو ألاّ يستكثر قارىء هذه السطور على أهالي الواحات والصحراء تشبثاً مع ما نقشه الرومان على صخور آثارهم بالواحات من قولهم « أهل الصحراء كثيرو الشكوى ناكرو الجميل » فإن تنفيذ هذه المشروعات سيعود على البلاد جميعها بالخير العميم وسينتفع أهل الصحراء ضمن المنتفعين .. فهذه ثروة قومية وكفى .. !!

معلومات عامة

١ — المكاييل المستعملة في الواحات :

ا — في سيوه : الصاع = $\frac{3}{4}$ الكيلة

ويزن صاع الزيتون الطازج : $\frac{3}{4}$ ٢ ك . ج .

« « البلح الصعيدي : $\frac{1}{2}$ ٢ ك . ج .

« « « القريمي : $\frac{3}{4}$ ٢ ك . ج . في بدء الموسم و $\frac{1}{2}$ ٢ ك . ج . في نهاية الموسم أي بعد الجفاف . .

ويزن صاع البلح الغزالي : ٣ ك . ج في بدء الموسم و $\frac{1}{2}$ ٣ ك . ج بعد الجفاف

والميشة = ٤ صيعان

والغدارة : (مكيال للسوائل) = ٤ قرب .. والقربة وزنها $\frac{1}{2}$ أقة .

ب — في الواحات البحرية : الصاع = $\frac{3}{4}$ كيلة

ج — في الواحات الداخلة : الوبة = $\frac{1}{2}$ ١ كيلة أي ثلاثة أرباع مصري .

والوبة = ١٠ ميشات

والميشة = ٤ أرطال .

د — في الواحات الخارجة : الوبة = ٢ كيلة وذلك في مدينة الخارجة والمحاريق . أما في بولاق وجناح وباريس فالوبة كالداخلة

٢ — الموازين المستعملة :

ا — في سيوه : الأقة .. أما الواحات الأخرى فالرطل . . !!

٣ — الاصطلاحات النقدية :

في سيوه : فرينو : $\frac{1}{2}$ ٢ قرش

بحليقة : $\frac{1}{2}$ قرش وهذه اصطلاحات أخذت من البدو الذين يختلفون

اليها كنيا .. أما الواحات الأخرى فهي كبلاد القطر ..

٤ — التعامل : الأساس في التعامل بجميع الواحات في البيع والشراء أن يحدد السعر على أساس الكمية فالمقدار ثابت ولكن الثمن هو الذي يتغير .. إلا سيوه فإن الثمن هو الثابت القيمة والمقادير هي التي تتغير ، والوحدة في التعامل هو الريال ومثال ذلك إذا أراد أحد الأهلين شراء شيء سأل البائع « كم بريال » . ؟؟

٥ — أسعار اللحوم قبل الحرب :

النوع	سيوه	البحرية	الداخلة	الخارجة
الضأن :	١٢ : ١٠ الأقة	٣ر٥ الرطل	٣ر٥ الرطل	٣ر٥ الرطل
عجالي :	٨ : ٩ «	٢ر٥ «	٢ر٥ «	٢ر٥ «

البيض . كان يباع في سيوه من ٤ : ٦ بقرش وفي الواحات الأخر من ٨ : ١٠ بقرش

٦ — الطيور :

	الحمام بالزوج	الدجاج البلدي	الرومي الذكر	الرومي الأنثى	الأوز
سيوه	٦:٥	٦ر٥ : ٧ر٥ الواحدة	—	—	لا يباع
البحرية	٥:٤	٦:٤ «	٣٥:٢٠ الواحد	١٥:١٢ «	«
الداخلة والخارجة	٣	٦:٥ «	٢٥:١٥ «	١٢ : ٨ «	«

تعداد السكان

حسب ما جاء بالاحصاء الرسمي الذي أجري سنة ١٩٣٧

اسم البلد	جملة	إناث	ذكور
مرغيب وعبد القادر والمكسوارية	١٤٢١	٧١٣	٧٠٨
العامريّة	١٢٩٦	٦٥١	٦٤٥
أم زعيبو وسيدي كرير والهوارية	١١٧٠	٥٧٧	٥٩٣
إيكنجي مربوط والدريسة	٧٤٦	٣٠٩	٤٣٧
بسيج	١٣٥٦	٦٧٥	٦٨١
برج العرب	١١٩٠	٥٥١	٦٣٩
الحمام والغربانيات والمسغرة	٢٠٣١	٩٤٢	١٠٨٩
سيدي عبد الرحمن وغزال	٦٨٥	٣٠١	٣٨٤
العجمي والدراع البحري والدير	٧٠٤	٣٢٦	٣٧٨
العميد والطين	٢٣١	١١٥	١١٦
جملة مربوط في تعداد ١٩٣٧	١٠٨٣٠	٥١٦٠	٥٦٧٠
» » » ١٩٢٧	١٦٥٦٣	٨٧٥٢	٧٨١١

يلاحظ أن تعداد السكان قد نقص في الفترة بين ١٩٢٧ — ١٩٣٧ ، حوالي الثلث وذلك لهجرة البدو من الصحراء الى الوادي في السبع سنوات القحط التي تنحصر بين ١٩٣٠ و١٩٣٨ وعدم وقوع زيجات بين من ظل منهم في الصحراء لضيق ذات اليد وعدم الحصول

ومن طريف اصطلاحاتهم أن يقولوا على من يموت بغير القتل فلان ضاع بدلاً من فلان مات وذلك لموته ميتة طبيعية ولم يحصلوا من ورائه على دية. و(الولية) أي الزوجة ضاعت والحق في رقبتها .. أي أنها ماتت ولم يأخذ ديتها لأنها لم تقتل ولم تطلق فلم يأخذ المهر الذي دفعه فيها .

الإسكندرية
الأبيض
المتوسط
البحيرة
أولاد على
مرسى مطروح

تعليقات وشروح

(١) أنظر باب الحياة الاقتصادية قسم الزراعة (المناطق الجدباء)

(٢) الغرود : وتعرف بسافيات الرمال . وهي عبارة عن تلال رملية تنتقل مع الرياح من مكان الى مكان ، وتُغير على الدروب فتحجبها وعلى الأرض الزراعية فتحجبها وعلى العيون ومنابع المياه فتطمرها وقد اتبعت في ايقافها سبل شتى منها زراعتها بالعبل أو الزراعة في شمالها وغربها ومن النباتات التي تصلح لايقافها (١) Acacia Seligna (٢) Acacia Cyansepiylle (٣) Tamarix (٤) Ipamea (٥) تخيل الياها Lporsbalus ويتكاثر بالعقل (٦) التين الشوكي Opantia وغير ذلك من النباتات التي تصنع جذورها شبكة سطحية تعوق تحرك هذه الرمال .

ولقد أضرت الغرود بقرى كثيرة في الواحات أهمها قرية الزيو بالواحات البحرية والموشية بالداخلة وتعتبر آفة الأراضي الزراعية بتلك المناطق .

(٣) منخفض القطارة : يقع منخفض القطارة في الجزء الشمالي من صحراء ليبيا المصرية في منتصف المسافة بين وادي النيل والحدود المصرية الغربية ، وتبلغ مساحته (١٩٥٠٠) كيلو متراً مربعاً ، وهذه المساحة تقارب مساحة الوجه البحري والبحيرات التي تقع في شمالي الدلتا ، ويبلغ متوسط عمقه ستين متراً ، ويأخذ انحداره نحو الانخفاض الى أن يبلغ أعمق أجزائه ١٣٤ متراً ، وهو بعد أعمق بقعة عرفت حتى الآن في أفريقيا .

(٤) أولاد علي : هم سكان الصحراء الليبية المصرية وينقسمون قسمين : أولاد علي الأبيض وهم القاطنون في المنطقة التي بين الاسكندرية والضبعة ، وأولاد علي الأحمر : وهم القاطنون بين الضبعة والسلوم . (انظر الفصحة التاريخية)

(٥) أغورمي : بلد أثري في سيوه وبه معبد آمون ، وهي أقدم من مدينة الاسكندرية فقد زارها الاسكندر الأكبر عام ٣٣٢ ق . م . وكانت في ذروة مجدها يؤمها كل قاصد من البلاد الأجنبية لزيارة المعبد والاسكندرية لم يتم تخطيطها بعد . ولقد تهدمت الآن وقامت على أنقاضها أغورمي الجديدة وظلت الأولى عامرة بالسكان الى ما بعد الفتح الاسلامي .

(٦) الزيتون : عزبة صغيرة تبعد عن سيوه ثلاثين كيلومتراً لجهة الشرق وكانت مملوكة لجماعة السادة السنوسية ولكن الحكومة اشترتها منهم عام ١٩٣٧ م .

وأما المراقي : فهي اقليم يقع غربي سيوه على مسيرة خمسة وعشرين كيلومتراً . وتدعى

المراعي أو مراقيا . وكانت ذات شهرة تاريخية فائقة . وقد قال المقريزي في ذلك «مدينة مراقيا كورة من كور مصر .. وهي آخر حدود أراضي مصر وفي آخر أراضي مراقية تلي أرض انطابلس (برقة) وبعدها عن مدينة صنقرية (سيوه) نحواً من بريدين (وقدر ذلك أربعة وعشرون ميلاً) وكانت قطراً كبيراً به نخل كثير ومزارع ، وبه عيون جارية وبها الى اليوم بقية وثمرها جيد للغاية ، وزرعها إذا بذر نبت من الحبة الواحدة مائة سنبلة ، وأقل ما ينبت تسعون سنبلة وكذلك الأرز بها فإنه جيد زاكٍ ، وبها الى اليوم بساتين متعددة ، وكانت مراقيا في القديم من الزمان يسكنها البربر الذين نفاهم داود عليه السلام من أرض فلسطين فنزل بها منهم خلائق ومنها تفرقت البربر فنزلت زناته ومغيلة وحريسة الجبال ونزلت لواتة أرض برقة .. الخ .. فلما كان في شوال عام أربعة وثلثمائة من سني الهجرة المحمدية سنة ٩١٦ ميلادية جلا أهل نوبية ومراقيسة الى الاسكندرية خوفاً من صاحب برقة ، ولم تزل في اختلال إلى أن تلاشت في زمننا »

وأما خيسة فهي مزارع خصبة تقع بين مراقيا وسيوه وتعتبر أكبر مزرعة للزيتون في سيوه .

(٧) الأراضي البور في الصحراء : مقسمة بين العائلات تقسيماً عرفياً فلكل عائلة أو قبيلة القطعة الفلانية تنتفع بها فاذا ما جاء فيها مشروع عام كان أبناء هذه العائلة أو القبيلة هم الأحق بالانتفاع به قبل سواهم . هذا مع العلم بأن أراضي الصحراء جميعها ملوكة للحكومة وليس للأهالي في ملكها من فائدة غير حق الانتفاع بها فقط واذا أرادت الحكومة أحدهم لا تعوضهم إلا عن انقاض فوقها من زرع أو شجر إن كانت ذات زرع أو شجر . أما الأرض ذاتها فلا حق لهم في المطالبة عنها بشيء مطلقاً .. !!

(٨) القفيز : مكيال يساوي ثلاثة أعشار الكيلة في سيوه ونصفها في الواحات البحرية

(٩) العاقول : عشب شوكي معمر ، تتساقط على أوراقه نقط صلبة تعرف باسم (من الاسرائيليين) أو (المن الناري) وتستعمل أوراقه مدرة للبول ، كما تستعمل أزهاره الحمراء مدرة للبول وملينة .. وهو ينمو جيداً بالأراضي السبخة ، ويستعمل في سيوه لتسميد الأشجار خصوصاً الزيتون اذ يدفن في خنادق بحول الجذع فيتحلل ويصير دوبالاً ، وكانت مساحاته الواسعة التي لا يملكها أحد ، تباع بالمزاد العلني بين الأهلين ، بواسطة بيت المال وذلك قبل فتح محمد علي باشا لسيوه، وكانت تدفع من ثمنها أجور الرقاب ومؤذن المسجد العتيق والصوتي العمومي وغير ذلك. أما الآن فلكل عائلة أن تنتفع بما ينمو حول زراعاتها منه أو تؤجر من يستخرجه من الأراضي البعيدة التي لا يملكها أحد .

(١٠) تقدر المساحات في سيوه بحساب الحوض الذي يساوي $\frac{1}{24}$ من الفدان .

(١١) الطابية : جمع حطية .. ومعناها الحوية .

(١٢) أنظر (٦)

(١٣) باريس : قرية صغيرة تقع جنوبي الخارجة المدينة على مسيرة ٩٠ ك م. منها وهي أقدم من باريس العاصمة الفرنسية ، وبها آثار كثيرة .

(١٤) الحارين : قرية صغيرة خربة شمالي مدينة الخارجة على مسيرة خمسة عشر كيلو متراً منها وكانت منفى المجرمين من المصريين قبل عام ١٩٢٠ م .

(١٥) القيراط : من الماء : هو المقدار الذي يكفي لري خمسة أفدنة شتاء وأربعة أفدنة صيفاً وعلى أساس القيراط يدفع الأهالي الضرائب للحكومة بحساب القيراط خمسين قرشاً .

(١٥م) رئيس الدواليب : رجل من أهل الواحات يعين في هذه الوظيفة التي غالباً ماتتوارثها عائلة واحدة في الواحات الداخلة والخارجة معاً .

(١٦) الساعة الرملية : تعتبر الساعة الرملية من أقدم ما استعمل لقياس الوقت . وهي عبارة عن قارورتين من الزجاج متصل رأس الواحدة منهما بالأخرى ، وفي إحداهما رمل وبينهما ثقب رفيع ينسرب الرمل منه ، إذ تجعل ذات الرمل في أعلا ، فينهال الرمل منها الى السفلى ، بحيث متى فرغ الرمل من العليا يكون قد مضى ساعة من الوقت ، فيعكس وضعها . ويرجع الرمل ينسرب الى الأخرى . وهلم جرًّا .

ولا يُعرف أصل منشأ هذه الساعة ، غير أن المؤرخ بيروس الكلداني ذكرها عام ٥٤٠ ق . م. وبذلك تكون قد عُرفت في زمانه ، على أن هذه الساعة لا تفي بالغرض المطلوب تماماً وذلك لشدة تأثر الرمل بالرطوبة .

(١٧) موط قاعدة مركز الواحات الداخلة .

(١٨) الساعة المائية : تعتبر أول ساعة استعملت فيها قوة الصناعة ، ويقال إنها استعملت في الصين وبلاد آشور ومصر ، قبل استعمال الساعة الشمسية — المزولة — على أن حقيقة نشأتها مجهولة أيضاً ، وكانت في أول الأمر تجعل على طريقة سهلة المنال ، وذلك بأن يوضع مقدار من الماء في إناء خفاف ، منقوب من أسفله وعلى جدار الإناء علامات تفيد القياس ، فإذا ما أخذ الماء في التناقص ، قُدِّر الوقت على حسب العلامة التي وصل اليها ، وكان هذا النوع من الساعات مستعملاً في مصر في عهد البطالسة ، فأدخل عليه كتيسيبيوس أحد علماء الاسكندرية عام ٢٣٥ ق . م . اصلاحاً جليلاً إذ جعل الماء ينصب على دواليب تدور به ، ومنها تنتقل الحركة الى قاعدة صغيرة تظهر بشكل الماء من تحتها ،

وتأخذ في الارتفاع تدريجيًا مع ارتفاع سطح الماء ، مشيرة الى العلامات التي تقدر الوقت — ومخططة بشكل مضبوط — بعصى صغيرة ممدودة خارجة منها كالنتوء .

وبعد انحطاط الدولة الرومانية انتقل استعمالها الى أوربا وقد اتقن الأقدمون في هذا النوع من الساعات .. والساعة المائية المستعملة ، بالداخلة تشبه الساعة الرملية المتقدمة الذكر غير ان جدار القارورتين مقسم الى ستة أقسام في كل منهما أي انها تقدر الوقت لست ساعات ثم ينعكس الوضع فتعد لست ساعات أخر ، وبذلك يجري العكاس وضعها أربع مرات في اليوم والليلة .

(١٩) المعاج : عواصف رملية تقوم بالصحراء يسميها البدو كذلك

(٢٠) السكراس : انخفاضات مغلقة بالصحراء مليئة بالملح والتربة الخفيفة .

(٢١) المملكة البحرية : هي مملكة الوجه البحري إحدى المملكتين اللتين كانتا تقومان بأرض مصر ، التي كانت تدعى في ذلك الحين « أرض القطرين » البحري والقبلي وكان ذلك قبل حكم الأسر الفرعونية ، وقبل أن يعتلي « مينا » الملك الأول في العالم العرش .

(٢٢) ميزوستريس : ثاني ملوك الأسرة الثانية عشرة الذي حكم البلاد حتى عام ١٩٣٥ ق . م .

(٢٣) عودة المنحنب الأول من الشلال : ويقول أحمس بن إبانا بمقار جلالته والفخار يملأ نفسه أنه بمهارته وذكائه تمكن من توصيل جلالة الملك المنحنب الأول من الشلال الى مصر في مدة يومين .

(٢٤) سكان البحر الأبيض المتوسط : هم القرصان والمتيمون بالجزر الواقعة فيه .

(٢٥) هما واحة سيوه والواحات البحرية .

(٢٦) حلفاء ملك الليبيين : كان هؤلاء الحلفاء مكونين من « سردينيين Sharden » و « شكالاشيين Shcklesh » و « صقليين وآشيين » أو « الليبيين » المعروفين باسم « Ekwesh » وهم الذين حاولوا على مصر في عهد المنحنب الثالث . و « أتركيين Etruscans » أو « Tyrsenians » المعروفين على الآثار باسم « ترش Teresh » وهؤلاء الأقوام أقدم من أتوا الى مصر من أوربا ، وكانوا ينهبون البلاد بالسطو وقد ورد ذكرهم في نصوص عهد المملكة الوسطى .. ولكنهم ليسوا أول الأوروبيين الذين أتوا الى مصر لأن المعروف عنهم أنهم عبروا البحر الأبيض المتوسط كثيراً فيما مضى ، واليوم يعزى أصل الليبيين البيض البشرة ، ويظهر من عدد الأسرى والقتلى الذين أصيبوا من جيش الليبيين في معركته مع منفتاح أن عدد المحاربين كان لا يقل عن عشرين ألف مقاتل ..

(٢٧) الأسرى عند قدماء المصريين : كان لهم مصائر ثلاثة : فإما أن يقتلوا وإما أن تقطع أيديهم ويتركوا . وإما أن يوسموا كعبيد في المعابد .

(٢٨) مكانة آمون في الحكومة المصرية : لقد تدخل آمون في شؤون الأسرة الثامنة عشرة أيام « حتشبسوت » و « تحوتمس الثالث » فالملك الأخير عرش مصر بكف « حتشبسوت » إقامة المحلات وإرسال البعثات الى الصومال لاحضار الخيرات له ، لكن هذا التدخل حمل بصفة استثنائية ، فلم يكن مطرداً ولا كثيراً ، فلما تولى « حريحور » الحكم تدخل هذا المعبود في شؤون الدولة بشدة لدرجة تحتم مشورته في كل أمر من أمور المملكة ، فالأمر الذي يوافق عليه آمون ، كان يحرك له رأس تمثاله إلى الأمام بقوة ، ويشفع ذلك بالنطق الآلهي ، وزاد تدخل آمون مصارت وصايا ومواريث أفراد الأسر لرؤساء كهنة آمون لدجل بناء على طلب هذا المعبود ، وعهد الكهنة الصبغت الأمور الأهلية بالصبغة الدينية . .

(٢٩) تل بسطا : عاصمة البلاد المصرية في عهد الأسرة الثانية والعشرين الليبية وقد اختطها « شيشنق الأول » مؤسس الأسرة الليبية ، وموقعها شرقي الدلتا في الجنوب الشرقي لمدينة الزقازيق حاضرة مديرية الشرقية ولا تزال بقية من أطلالها الى الآن وهي معمورة من الطين : .

(٣٠) مانيثون Manethon أو مانيثيرس : كاهن عين شمس ، وكان مصري الجنس ، عاش في حكم بطليموس الأول ، وهو أول مصري وضع باليونانية كتاباً عن ديانة قومه ، ثم وضع كتاباً آخر عن تاريخ الفراعين .

(٣١) الواحة الكبرى : هي الواحات الخارجة . .

(٣٢) فرطنيوم : Paretonium أو أمونيا Ammonia : ودُعيت أمونيا إشارة لعلاقتها بمعبد آمون المقدس ، وكانت مدينة عظيمة تابعة لمصر سياسيًّا وموقعها على شاطئ أفريقيا الشمالي . وكانت هذه المدينة في الغرب ، و « فلوسيوم » في الشرق تسميا « قبرتا مصر » وقد صاغ الشعراء من اسم المدينة « نعتاً Paretonius » لاستعماله في معنى عام للدلالة على كل ما هو مصري ، وتعتبر ميناء (واحة سيوه) حيث كان الذاهب الى المعبد يبحر إليها ثم يبدأ رحلاته على الإبل عبر الصحراء الى سيوه ، وكثيراً ما كان الفورونيون والأنابقة يسلكون هذا الطريق الذي سلكه الاسكندر المقدوني ، وقد اتخذتها « كليوبترا » مُنشأ لمزارعها هي و « أنطونيو » وكانت تدير دفة القتال ضد « أغسطس » فيها ، وهنالك لا تزال بقية من حمام « كليوبارا » الذي أنشأته لكي تقف بين أمواجه بزورقها حيث يحلو القول بين زرقة مائه الغريبة اللون وزرقة السماء الصافية الأديم . . وقد اتخذها الرومان حاضرة للصحراء

الغربية أبان حكمهم لمصر ، وكان أقليمها متاخماً لأقليم مريوط وما لبث أن انضم إليه لفقر الأول . وفي عهد الامبراطور «جستنيان» تم تحصينها حيث تقرر جعلها نقطة أمامية في خط الدفاع عن مصر إذا حدث هجوم من الغرب — كما كانت إبان الحرب الأخيرة — إذ هي مرمى مطروح .. !!

(٣٣) معبد آمون بسيوه : في عام ٥٨٨ ق . م . تولى « أبريس الأول » رابع ملوك الأسرة السادسة والعشرين . . فعين على الجزء الشمالي من الصحراء الغربية حاكماً يدعى « وح إب رع نوفر ... Wahibranofar » وهذا الحاكم أسس معبداً في الجزء الشمالي من مقاطعته ترجح أنه «معبد آمون» الموجود في « سيوه » ولو أنه لم يرد نص صريح على ذلك .. إلا أن الروايات التاريخية تشير إلى أنه قد شُيد في المقاطعة الشمالية من الصحراء الغربية معبدان أحدهما عُين موقعه بالضبط ، وهو الذي عاده «أمازيس» خلف «إبريس» في الواحات البحرية ، والثاني لم يعين موقعه .. وحيث أن معبد آمون في سيوه ، أحد المعبدين اللذين أقيما في القسم الشمالي من الصحراء الليبية ، فلا بد أن يكون هو الذي أقامه عامل « إبريس » وثمة دليل آخر نقيمه على صحة ما نقول « وهو مطابقة طراز المعبد القائم بين خرائب « أغورمي » لطراز أبلية ذلك العصر »

(٣٤) قورينا : Cyrena إحدى مدائن خمس شادها الإغريق في ولاية برقة الافريقية وبرقة هو الاسم الذي أطلقه العرب على ولاية في شمال أفريقية اسمها «قورنيقة Cyrenaica» نسبة الى « قورينا Cyrena » وكان الجزء الشمالي منها يعرف عند العرب باسم « بنطابوليس » أو « إبطابلس » Pentapolis » أي المدن الخمس .. إذ اللفظ اليوناني Penta معناها خمسة و Polis معناها مدينة ..

أما هذه المدن الخمس فهي : (١) هسبريس Hesperis (٢) برقة Barca (٣) قورينا Cyrena (٤) أفولونيا Apollonia (٥) طوخيرا Teuchira أو أرسنوي Arsinoe وكانت « قورينة » أقدمها وأكبرها وأزهاها وأعمرها وقد أنجبت كثيرين من الفلاسفة والشعراء والقواد العظام ولها تاريخ طويل أخصه علاقتها بمصر في عصر البطالمة . . وكان مكانها على الجبل الأخضر ولا تزال آثارها باقية الى اليوم .

(٣٥) بطليموس : هو بطليموس بن لاجوس . . وهو قائد اغريقي رافق الاسكندر في سفرته الى سيوه وكان أحد قواده وهو بطليموس الأول الذي كانت مصر من نصيبه .

(٣٦) استرابو : Strabo : جغرافي إغريقي ولد في عام ٦٣ ق . م . وقد كتب عن كثير من البلدان في الممالك القديمة .

(٣٧) المسعودي: مؤرخ عربي توفي في سنة ٣٤٦ هـ ٩٥٧ م . وهو صاحب كتاب مروج الذهب ، وقد كتب في وصف آثار الاسكندرية ما اعتبره مؤرخو الافرنج مصدراً وثيقاً .

(٣٨) برقة : يطلق اسم برقة الآن على الاقليم الشرقي الشمالي من طرابلس وهو المتاخم لحدود مصر الغربية وقديماً كانت إحدى مدن قورنيقة .

(٣٩) كانت أول مدينة من جهة برقة هي « بانورموس » ويليها « قطابثموس » و « سيلنوس » و « فرطنيوم » أو « أسونيا » وكانت هذه قصبة الاقليم ومقر الحكم ، ويليها شرقاً « هرميا » و « لوكاسيس »

(٤٠) بونطابولس : أنظر (٣٤) تعليقات

المصادر

ديانة قدماء المصريين	للعلامة إشنـدرف الالماني
تاريخ مصر من أقدم العصور الى الفتح الفارسي	لبرستد
فتح العرب لمصر	لبتلر
مصر في قيصرية الاسكندر المقدوني	للاستاذ اسماعيل مظهر
بداءة عهد البطالمة	« « «
تاريخ مصر الى الفتح العثماني	
« « من عهد المماليك الى نهاية حكم اسماعيل	
خريدة العجائب	لابن الوردي
تاريخ مصر	لابن إياس
الاعتبار بواسطة عقد الامصار	لابن دقاق
الخطط	للمقريزي
مروج الذهب	للمسعودي
سيوه	لبلجريف
واحة سيوه	للدكتور حسين علي الرفاعي
الاحجار الخشبية	للمرحوم الأستاذ ابراهيم عمّال
النباتات الطبية والعطرية « تحت الطبع »	للاستاذ عز الدين رشاد
دائرة المعارف الاسلامية	للبستاني
« « البريطانية	
« « الفرنسية	
تقارير عن مياه الشرب المصرية	للدكتور أوديان
مجلة فلاحة البساتين	
« الفلاحة	
المجلة الزراعية المصرية	

نشرات المجمع المصري للثقافة العلمية

« قسم البساتين

مذكرات وأبحاث المؤلف الخاصة خلال إقامته بالصحراء

رواية الشيخ الطيب مسلم فقيه سيوه

مخطوط تاريخ سيوه للمرحوم الشيخ عمر مسلم ..

بعض مقالات متفرقة في الصحف

ازهار مربوط
صانيات الرمال
} للبروفسير أوليفر

فهرس

	صفحة
الماء في الصحراء	٣
القسم العديم الماء	٣
القسم الموسمي الماء	٤
القسم الدائم الماء	٩
واحة صيره	١٠
غارة أم الصغير	١٥
الواحات الخارجة	١٥
حفر العيون	١٧
الواحات الداخلة	٢٣
الواحات البحرية	٢٦
واحة الفرافرة	٢٩
الى الصحراء	٣١
أحلام الصحراء	٣٥
الحياة في ربوط	٤٤
الطقس	٤٤
القبيلة	٤٥
في قضايا القتل	٤٦
في قضايا هتك العرض	٤٩
الزواج	٥١
اللغة والدين والصناعة	٥٣
صفات العرب	٥٦
الحياة الاقتصادية	٥٧

الزراعة	٥٧
المناطق النباتية البرية	٥٩
المناطق النباتية الزراعية	٦٣
الثروة الحيوانية	٦٥
التجارة	٦٧
لمحة تاريخية	٦٩
نظرة عامة فيما تتطلبه الصحراء والواحات من إصلاح	٨٣
المنطقة الساحلية	٨٣
الري	٨٦
ري الزراعات الحولية	٨٧
ري الحدائق	٨٨
منطقة الواحات	٩٤
معلومات عامة	١٠٤
تعداد السكان	١٠٦
خريطة مربوط	١٠٧
تعليقات وشروح	١٠٨
المصادر	١١٥

فهرس التعليقات

	صفحة		صفحة
الغرود	١٠٨	حلفاء ملك الليبيين	١١١
منخفض القطارة	١٠٨	الأسرى عند قدماء المصريين	١١٢
أغورمي	١٠٨	مكانة آمون في الحكومة المصرية	١١٢
الزيتون والمراقي أو مراقيا	١٠٨	تل بسطا	١١٢
تقسيم الأراضي البور في الصحراء	١٠٩	مانيتون	١١٢
العاقول	١٠٩	فرطنيوم أو أمونيا	١١٢
تقدير مساحة الأرض بسبوه	١١٠	معبد آمون بسبوه	١١٣
باريس	١١٠	قورينا	١١٣
المحاريق	١١٠	بطليموس	١١٣
الساعة الرملية والساعة المائية	١١٠	استرابو	١١٣
موط	١١٠	المسعودي	١١٤
العجاج	١١١	برقة	١١٤
المملكة البحرية	١١١	مدائن الصحراء القديمة	١١٤
سكان البحر الأبيض المتوسط	١١١		

ملحوظة : جاء في صفحة ٦٥ (١ — الثروة الحيوانية) وفي الحقيقة هي رقم (٢) من الاقتصاديات الثلاث بالصحراء — الزراعة — والثروة الحيوانية — والتجارة